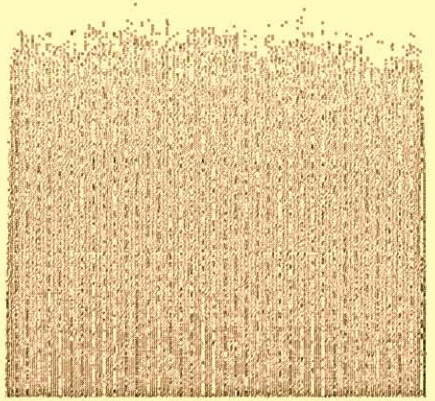


مكتبة الاسكندرية

مكتبة الاسكندرية



مكتبة الاسكندرية

1

الاصوال الكاطلت



Bibliotheca Alexandrina
 0158776

أرولان بارت



يعد رولان بارت (1915 - 1985) واحداً من أهم أعلام النقد، ليس في فرنسا فحسب، ولكن خارجها أيضاً. ولعل السبب الذي جعله يحظى بهذه المكانة، يكمن في حساسيته الغنية مع قدرته العلمية الهائلة على اختراق ميادين معرفية وعلمية عديدة وتجاوزها (علم الاجتماع، علم النفس الفلسفة، الاثنولوجيا، الانثربولوجيا، اللسانيات، نظرية المعرفة) ثم التركيب بينها، والإفادة منها في إطار ما يسمى اليوم «تداخل العلوم».

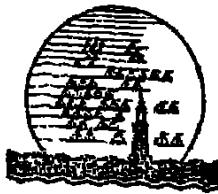
وإذا كان بارت قد بدأ النشر في الأربعينات من هذا القرن، فإنه لم يتوقف عن ذلك حتى منتصف الثمانينات، حين حانت وفاته في حادث سيارة. ويدل هذا أنه، على امتداد أربعين سنة على الأقل، قد مارس الكتابة النقدية، ويعتبر واحداً من منتجي الثقافة وصانعا للمعرفة في هذا العصر.

وإنه لمن المفيد أيضاً أن نعرف أنه قضى فترات من حياته مدرساً في تركيا، و«رومانيا»، و«مصر»، وهذا يعني أنه احتك مباشرة بثقافات أمم عديدة، أضافت إلى ثقافته ومعارفه خبرة بعقائد المجتمعات التي عاش فيها، وأنماطها الحضارية، وأفكارها، وثقافتها. ثم لن ننسى أن نضيف إلى هذا معاشته للحضارة اليابانية وما كتبه عنها.

عمل بارت في مركز البحث العلمي الفرنسي. وكان من انجازاته فيه جملة من الدراسات في علم الاجتماع وعلم المعاجم، أشرف عليها متابعة وتوجيهاً. كما عمل مديراً للدراسات في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا.

وقد أشرف على إدارة معهد التدريب لمواد علم الاجتماع، والرموز، والرسوم، والدلالات.

لغة النص



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina



حقوق النشر محفوظة

الطبعة الأولى

1000/12/1992

نشر هذا الكتاب باتفاق خاص مع دار لوسوي / باريس

رولان بارت

لغة النص

ترجمة: د. منذر عياشي

Roland Barthes

Le plaisir
du texte

Éditions du Seuil

كان الخوف هو الهوى الوحيد في حياتي

هوبس

لذة النص بين الترجمة والابحاع

عندما يأتي الحديث عن كتاب (رولان بارت) لذة النص، يلاحظ أنه كتاب يستحيل ترجمته.. وبذلك تكون القراءة بديلاً للترجمة. ولقد جعل بارت من اللذة موضوعاً لحديث نظري في لذة النص. وقبل أن نبدأ بأي سؤال بادرننا الدكتور منذ عياشي بالاجابة التالية:

○ اللذة تأتي هكذا، إنها حضور من غير سؤال ، ووجود يعم كل شيء دون أن يتموضع في شيء .. وليس شيء للذة أقتل من سؤال يستفسر عن موضوعها . اللذة ليست موضوعاً . إنها هي . وإنها لتتكشف دائماً من غير سؤال . وسعادة الملتذ كالنور ، تأتي بقدر زناد الروح ، فلا يدركها إلا من تحرر من نفسه جسداً ودخل في نفسه نصاً .

* ولكن لا بد من السؤال لكي نمتحن وجود اللذة . لقد قمت بترجمة عدد من الكتب ، وقمت أخيراً بترجمة كتاب « لذة النص » لرولان بارت ،

فأي الكتب من كل ما ترجمت كنت فيه مترجماً وأيها كنت فيه مشاركاً ؟

○ في الواقع ، أنا لم أترجم أي كتاب ، ودعني أقول بصراحة ، أنا لست مترجماً ، إنني مجرد قارئ يسجل فيما ينقل مخاضه الخاص . وعن هذا الموضوع يمكنني أن أقول إنني أضع من ذاتي فيما أترجم أكثر مما أترجم . وهذا القول قد يكون فضيحة ، ولكن اللذة هكذا تكون .

ترجمت ، كتاب (لذة النص) مثلاً ، ترجمة قارئ لا ترجمة مترجم ، ولقد أردت لهذه الترجمة أن تكون صادقة ، أي أن تكون مطابقة للأصل . ولكن لأي أصل ؟ ولعلي لا أكذب الظن إذا قلت إن (رولان بارت) نفسه لا يملك الأصل . إنما هو ناسخ سجل ما وعاه ليبلغه . ورب مُبَلِّغ أوعى من مُبَلِّغ . فالأصل هو الغيبة . والنص الذي ترجمته هو صورة الغياب كما نسخها (رولان بارت) .

وما دام الأصل هو صورة الغياب ، فإن النص الذي بين أيدينا لا يحمل ضماناً تاماً ولا وثوقية كإله . فثمة شيء عنه على الدوام غائب . ولذا ، فهو ينفي نفسه ليكون معنى مختلفاً ، بل ومختلفاً في قراءة كل قارئ . أليست الترجمة ، هي أيضاً ، قراءة في نص ؟ غير أن المعنى ، رقد سجل هنا ، لم يتأسس على أصل ، ولا على منسوخ . وإنه ليمضي كذلك في غيبة مضاعفة : إنه معنى قراءة منتجة للنص ، ومعنى نسخ جديد لمعنى قراءة جديدة .

إن أي ترجمة هي هذا . ولذا ، فإن النص يلد بها مجدداً على صورة صوتية ، وصرفية ، وتركيبية ، ودلالية جديدة . وبها يتحول عن جسده اللغوي ، إلى جسد لغوي آخر . وهذا التحول هو محاولة لإعادة الماضي

في ذاكرة النص . وإنما لعملية مستحيلة ، لولا أن الممكن اللغوي هو الذي يحققها . ولكنه يحققها كما يريد : إنه يجعل الماضي اشارة لغوية . وبهها حرية الحضور . ولكنه يشترط عليها : التغير ، والانحراف ، والقدرة على التجاوز .

* ماذا يبقى من النص (الأصل) بعد ترجمته إذن ؟ أو لنقل ماذا يبقى من النص (المنسوخ) بعد قراءته ؟

○ لا يبقى شيء . فالنص الجديد يلتهم القديم ، ويتحول به إلى امكان لغوي آخر ينذر بقراءة تلتهم هي الأخرى جديد النص المتحول لتتحول به بدورها ، وهكذا دواليك .

* إذا كانت هذه رؤيتك .. فكيف تقدم لذة النص ؟

○ إذا كانت هذه هي رؤيتي ، فكيف اقدم هذا الذي صار بين يدي جسداً — نصاً يثغثغ ، ويصخب ، ثم يتوارى حتى لا يكاد يبين ، أو يظهر حتى يمل الوضوح معناه ؟ كيف أقدمه وهو الشريد المتغير ؟ أعتقد أن ليس ثمة مغامرة هنا . إنه الخوف فقط . الخوف الذي يحول دون اللذة . إنه الخوف التاريخي القابع فينا . إنه الخوف من ... سلطات بعضها فوق بعض . ولكن ماذا لو أنني لم أعد بالخوف أشعر ! أهو انفلات من السلطة ؟ ليس هذا فقط . إنه الحلم الذي تراه وأنت يقظان : إنه لا يأتيك وأنت عنه غافل ، ولا ينقطع بك وأنت فيه راغب

إنه ما تحققه . إنه اللذة التي ينهض بها الجسد — النص ، النص —
اليقين ، اليقين — الحرف ، الحرف — الصوت ، الصوت — الهسهسة .
أجل الهسهسة . هسهسة اللغة . ولعلي أحسن صنفاً إذ أقدم « لذة
النص » بنص كتبه بارت عن هسهسة اللغة في كتاب له سماه : « هسهسة
اللغة Le bruissement de la langue وهذا أقدم بارت ببارت ، و « لذة
النص » ب « هسهسة اللغة » .

* نحن في غرابة مما تقول .. شيء ما نكاد لا نصدقه !

○ اللذة لا تصدق . إنها أمر غير معقول أو هي أمر غير قابل للعقلنة .
ولكن يبقى علي أن أقول : إني أعشق اللغة . فإذا أعلنت عشقي
للمحجوب أعلنت عشقي للمكتوب . ولذتي لا تقوم على وصال جسدي
مع من أحب ، ولكنها تقوم على وصال جسدي مع ما أكتب . ذلك لأن
وصال المحجوب مبعثه نزوة تورثني متعة ، ووصال المكتوب مبعثه شهوة
تورثني لذة . وإني لأحسُّ في المتعة زوالاً ، وإني لأحسُّ في اللذة دواماً . إذ
لا شيء أبقى من مكتوب اللذة وأدوم . وإني إذ أتصل بمكتوبي لأعلم أنني
أضع جسدي في حروفه . وإن الحروف لتغادرني جسداً — نصاً لتقرأ
نصاً — جسداً . إذ يغادرني حرفي الذي وضعت فيه جسدي ليستقبلني
غيري الذي يضع في نصي ، آه ، حينذاك يستعر المكتوب شهوة ، ويظل
كذلك في جسد كل قارئ ، حينذاك ، يضطرم الجسد بلذة لقاء النص
أمدأ لا ينتهي دوامه ، ويلتهب بلذة وصاله زمناً لا ينتهي استمراره .

* حدثنا عن المستحيل وأنت تسخ هذا الكتاب ا

○ يقول رولان بارت : « يبدأ النص غير الثابت ، النص المستحيل مع الكاتب (أي مع قارئه) » .

القراءة تجعل المكتوب بدايات لا تنتهي : إنها تكوّن المكتوب على نفسه ، فهو لا يزال بها يدور ، حتى لكأن كل بداية فيه تظل بداية . ولذا كانت نصوص القراءة هي نصوص البدايات المفتوحة : إنها تكتب ، وتقرأ . ولكنها لن تبلغ كمالها كتابة ، ولا تمامها قراءة . ولعل هذا هو السر في أنها كانت نصوص لذة .

والسؤال الذي أطرحه على نفسي وأنا أقرأ عملاً من الأعمال (أي ما أكتبه بقراءتي) سواء كان هذا العمل في التاريخ ، أم في الأدب ، أم في الفلسفة ، أم في اللسانيات ، أم في غير ذلك ، هو : ما الذي يربطني بهذا العمل ؟ وإن وعي السؤال المقدم في صيغته هذه ، ليجعلني أطرحه على نفسي وأنا أتأمل لوحة ، أو وأنا أشاهد فيلماً ، أو وأنا أصغي لحديث نفسي ، أو وأنا أسمع : أغنية ، أو حواراً ، أو قراءة لنص مكتوب ، أو قراءة لنص مقروء ، أو ضوضاء الشارع . وإني لأطرحه وأنا أنصت لصوت الريح ، أو وأنا أقلد بعض الأصوات : العصفور ، والقطة ، وثرغثة الطفل . أو وأنا أتخيل مشهداً على غير مثال .

— ما الذي يربطك بهذا كله ؟

ما الذي يربطني بهذا كله ؟ يبدو أنني أستطيع أن أجيب

بطريقتين : طريقة القطيعة ، وطريقة الاستمرار . إن هاتين الطريقتين
لتظهران في ثنائيات كثيرة ، نذكر منها أو بعضها :

● — الذات والأعمال :

أما في الطريقة الأولى ، فأكون مركز الأعمال التي أقرأ ، وأتأمل
وأشاهد ، وأسمع ، وأقلد . وأما في الثانية ، فتكون الأعمال بلا مركز ،
تكون عارية إلا من لباس تجردها . ومن هنا ، فأنا أقرأ فيها ، حرفاً حرفاً
كل تفاصيل الجسد — الحضور . وإني لأظل كذلك حتى أتماهي فيه
ويغيب عني جسدي . حينئذٍ ترتدني ، فأصبح نصاً — جسداً ، تكت
فيه كل تفاصيل الجسد — الغياب . وإني لأهتاج ، إذ ذاك ، شهوة
فتنتقل الأعمال وتتغير . وأهتز شبقاً : فتنمو وتتحول . وأضطرم لهذا
فترسم نموذجها ثم تلغيه . فأعود حينئذٍ ، كما بدأت أول مرة : أقرأ وأتعدد
وإنها لتعود بي أيضاً ، لتجدد في دورتها : كنت أقرأ ، وكانت قراءتي لي
ثم أصبحت قراءتي لها من خلالي ، وهكذا صرت ما أقرأ .

أنا ، في الأولى ، أقرأ ذاتي ، إذن ، ثباتاً وجموداً . وأنا ، في الثانية
أقرأ متغير الأعمال التي تبدع قراءتي فيها نصوص كتابتها وتحولها .

● — الأعمال والسلطة :

ثمّة متعة قمعية ، تملها علي مركزي ، فأقطع الأعمال بها عن
شيء لأصلها بذاتي ، (أليست غبطة الكمال سلطة) . وثمة لذة يق
النص فيها نقصه ، إيجازاً ومجازاً وتلميحاً : (أليست لذة النص هي الق
الأقل) .

السلطة ذات مركزية لا تنتج : إنها تستهلك فقط . وإنها لتشه
على الدوام أن هناك (في موقع غير محدد) أخطاراً تهددها : خا

المجاز ، وخطر الغياب ، وخطر القارىء . وقد كان لا بد لها ، لكي تؤكد حضورها ، وتضمن بقاءها ، وتبلغ كمالها ، من أن تمجد العنف ، وتقديس الوضوح ، وتحارب المجاز ، وتعتقل القارىء . فالغياب في الأعمال أكبر من الحضور . والغموض أنفذ من الوضوح . والنقص ألد من الكمال . والقارىء هو صفحة البياض التي يكتب النص فيها جسده .

تتسلط الذات المركزية التي لا تنتج ، في الطريقة الأولى ، على الأعمال لكي تؤسس سلطتها : حضوراً ، ووضوحاً ، وكلاً . بينما تكف الذات المنتجة ، في الثانية ، عن ذاتها لتكون ذاتاً للقارىء والمقروء، والرأي والمرئي ، والسامع والمسموع . باختصار : إنها تكف عن كونها متعة انقطاع ، لتكون لذة تضاد تهدم كل شيء حتى سلطتها الخاصة .

● — السلطة والايديولوجيا:

السلطة والايديولوجيا تويمان لا ينفصلان: يحنو أحدهما على الآخر، ويحافظ عليه. فالسلطوي يتخذ من الايديولوجيا طريقاً، ويجعلها له وجاء. وهذه هي الطريقة الأولى.

فيارس باسمها متعة لا تعد لها متعة: إنه يقصي ويخصي، ويتم وينفذ حكم الإعدام، ويجعل من نفسه حارساً أميناً على رحم الكتابة: فلا يلد نص إلا وللايديولوجيا فيه/ ومنه نصيب. والايديولوجيا تقبل أن تكون أداة ذلك كله، لأنها تنطوي على غبطة كمال مركزي، لا ينتج شيئاً ولكنه يستهلك كل شيء: إنها متعة تمام الفكر الانساني، وعظمة ظهوره. ولذا، فهي تغلق النصوص، وتمنع التعدد، وتشجب الغياب، وترتاب من الغموض، وتقلق من المجاز، وتعتقل القارىء لتجعله، بوساطة السلطة، يكرر الشعار الواحد، والرؤية الواحدة. إن الايديولوجيا، باختصار، سلطة

تعشق التكرار.

— هل للمكتوب تاريخ خاص أم أن للمكتوب تاريخاً عاماً..
وما علاقة اللذة بتاريخ المكتوب بوصف التاريخ زمنياً تم فيه المجاز
المكتوب ؟

يحتوي كل نص على تاريخ الكتابة كلها. واللذة فيه، ليست
مفصلاً زمنياً. إنها الزمان الذي يمضي الماضي به نحو المستقبل من غير
شرط ولا غاية. وإذا كانت ثمة مقولة تقول: «لا جديد تحت الشمس»،
فإن مقولة اللذة تقول: «لا عتيق تحت الشمس حتى الشمس نفسها».
ولذا كانت نصوص اللذة نصوصاً مستقبلية على الدوام: إنها نصوص
عشق الآتي.

والقراءة، بهذا المعنى قراءتان: قراءة تغلق النص، وتقف به على زمن
معين وقراءة تفتح النص، وتجعله على الدوام محايثاً. وبين هاتين القراءتين،
تقع مسألة الحداثة. فقراءة «أدونيس» مثلاً، بالمنظور الأول، تجعله قديماً.
وقراءة «أمرىء القيس»، بالمنظور الثاني، تجعله حديثاً. وما يحسن بنا
ادراكه، هو أن مسألة القراءة ليست اغتصاباً زمنياً للنص، ولا تثبيتاً تاريخياً
له، كما يوحي بذلك المنظور الأول. إنها: النص كما تبدعه في كل الأزمنة،
ويحققه التاريخ عبر كل تحولاته وتغيراته، ومفاجآته وقفزاته. ولذا، فإن
لقراءة الحداثة، في النص القديم ما يبررها إنها اللذة، كما أن لقراءة القديم في
النص الحديث ما يبررها: «فالنص كائن لغوي يشهد على حضور التراث
فيه». وإن هذه القراءة، بقسميها وشطريها، لتشكل في الواقع، نسيج أي
نص: سواء كان قديماً أم حديثاً. وهي آلة العمل المفيدة في أي دراسة من

دراسات التناص.

وهكذا يبدو أن لذة النص ليست قطيعة مع التراث. بل هي التراث ممتداً إلى ما لا نهاية. وما كان ذلك كذلك إلا لأن القراءة فيها هي غير القراءة في الايديولوجيا: فهذه تعنى بالصراع، وتقوي حمى السجال، وتلغي العقل. لا لشيء إلا لأنها تقوم على ثنائيات القمع والارهاب: قديم — حديث، إلى آخره. ومتعته في ذلك، تتجلى في القطيعة التي تحدثها، والاستهلاك، وفصل التاريخ عن الزمان: أي في نزعتها المضادة للتاريخ وللحياة.

— ما هي الكلمة الأخيرة للذة النص؟

○ إن لذة النص ليست منهجاً يكتب النص من خلاله. ولا هي جملة من القواعد والأفكار المحددة. ولا هي الكتابة في موضوع معين. إن لذة النص، كما يقول رولان بارت، هي هذا: «إنها القيمة المنتقلة إلى قيمة الدال الفاخر».

* *

حوار : نادر السباعي

هسهسة اللغة

رولان بارت

إن الكلام ليس سير قدماً في اتجاه واحد. وهذا هو قدره. فما قد قيل لا يستطيع أن يستعيد نفسه، إلا إذا ازداد: فالتصحيح، انما يكون هنا، وبشكل غريب، إضافة. فأنا حين أتكلم لا أستطيع أن أمحو ما أقول أبداً، كما لا أستطيع أن أمسحه، ولا أن ألغيه. وإن كل ما أستطيع فعله، هو أن أقول: « ألغي، وأمسخ، وأعدّل ». وباختصار، فإني أتكلم أيضاً. وإني لأسمي هذا الإلغاء الفريد عن طريق الإضافة « نغثغة ». والنغثغة رسالة مخففة مرتان: إننا نفهمها، من جهة أولى، فهماً سيئاً. ولكن مع الجهد، من جهة أخرى، فإننا نفهمها على كل حال. إنها فعلاً، ليست ضمن اللغة، ولا هي خارجها: إنها هسهسة لسانية. وإنها لتقارن بمحرك يجعلنا، بعد عدة محاولات لتشغيله، نسمع بأنه ليس سيئاً. وهذا هو، على وجه التحديد، معنى الاخفاق، ومعنى الإشارة الصوتية للفشل، الذي يترك جانبه في الشيء. فنغثغة (المحرك، أو الذات)، إنما هي خوف في النتيجة: إني لأخشى أن يتوقف السير فجأة.

*

موت الآلة: إنه قد يكون مؤلماً بالنسبة إلى الإنسان، أن يصف موت الآلة، وكأنه شبيه بموت الحيوان (انظر رواية زولا). ومهما تكن الآلة قليلة الجاذبية في النتيجة (لأنها في صورة الروبو، تشكل أخطر تهديد: يتجلى في ضياع

الجسد)، فثمة، مع ذلك، إمكان فيها لموضوع مرح: ألا وهو أدائها الجيد. وإننا لنحذرُ الآلة، لأنها تعمل وحدها، ولكننا نُسرُّ منها أيما سرور إذ تعمل جيداً. وكذلك الحال بالنسبة إلى أعطال الوظائف اللسانية. إنها لتختصر إلى حد ما في الإشارة الصوتية: الثغثة. وينطبق هذا الأمر على حسن عمل الآلة أيضاً، وهذا يظهر في كائن موسيقي: إنه الههسة.

إن الههسة هي الصوت الدال على حسن سير الشيء. وثمة مفارقة تنتج عن ذلك: إن الههسة لتشير إلى صوت محدد، صوت غير ممكن، صوت الشيء الذي لا صوت له في حال تنفيذه لأدائه كاملاً. وإن فعل ههس ليجعل تبخر الصوت نفسه مسموعاً: فالصوت الرقيق، والمشوش، والمرتجف يُستقبل بوصفه إشارات لإلغاء صوتي.

إن الآلات السعيدة، إذن، هي الآلات التي تههس. ولقد تخيل ساد الآلة الشبقية، ووصفها ألف مرة كأنها كتلة « فكرة » من الأجساد، مواقعها الغرامية منضدة بعناية، بعضها إلى جانب بعض. وعندما تبدأ هذه الآلة عملها، بحركات تشنجية يقوم بها المشاركون، فإنها تهتز وتههس ههسة خفيفة: إنها باختصار، تمشي، بل هي تمشي جيداً.

ونجد، في مكان آخر، أن الياباني اليوم، حين يتعاطى لعبة آلة النقود جماهيرياً (تسمى هذه اللعبة هناك باشانكو) في قاعات كبرى، فإن هذه القاعات تمتلئ بضجة هائلة تحدثها الكرات. وإنه للماتعنيه هذه الضجة أن ثمة شيئاً يعمل جماعياً: إن اللذة لقائمة في اللعب (وهي لذة تنطوي على لغز لأسباب أخرى)، وفي التصرف بالجسد تصرفاً دقيقاً. وذلك لأن الههسة (ونرى هذا في أمثلة لساد، وفي الأمثلة اليابانية) تستلزم أمة من الأجساد: إذ في ههسة اللذة التي « تعمل »، ليس ثمة صوت يعلو، أو يقود، أو يتعد. وليس ثمة صوت

يتكون كذلك. فالهسهسة هي الصخب نفسه للمتعة المتعددة — ولكنها ليست
جماعية على الاطلاق (فالجماهير، هي على العكس من ذلك. إن لها صوتاً
واحداً، وقويّاً قوة مخيفة).

*

واللغة، هل تستطيع اللغة أن تهسس ؟ يبدو أن الكلام، سيبقى خاضعاً
للهسهسة. كما يبدو أن الكتابة ستبقى خاضعة للصمت، وتميز الإشارات: وعلى
كل حال، فإن ثمة معنى كثيراً سيبقى دائماً، لكي تحقق اللغة به متعة تكون
خاصة بمادتها. ولكن يبقى أن ما هو مستحيل، لا يعني أنه مستحيل على
الإدراك: فهسهسة اللغة تشكل اليوطوبيا، أي يوطوبيا ؟. إنها يوطوبيا موسيقى
المعنى. وإني لأعني بهذا، أن اللغة، لتتسع في حالتها اليوطوبية، بل لعلي أقول إنها
لتنشوه أيضاً، وتظل كذلك إلى أن تنسج نسجاً صوتياً هائلاً، تجد فيه الآلة
الدلالية نفسها غير متحققة. هكذا، ينتشر الدال الصوتي، والعروضي، والنطقي
انتشاراً تتجلى فيه كل فخامته من غير أن تفصل عنه إشارته أبداً (يأتي لكي
يطبع هذا الغطاء الخالص من المتعة) ولكن أيضاً — وهنا تكمن الصعوبة — من
غير أن يكون المعنى مقصياً بفظاظته، وساقطاً سقوطاً عقدياً، وبإيجاز، من غير أن
يكون مخصياً. ومع ذلك، فاللغة في حال هسهستها إذ تودع نفسها في الدال
بحركة غير معروفة، ومجهولة في خطاباتها العقلانية، فإنها لا تهجر من أجل ذلك
أفق المعنى: وسيكون المعنى غير قابل للتجزئ، حصيناً، وغير قابل للتسمية. كما
سيكون، مع ذلك، موضوعاً في مكان بعيد، وكأنه شبح يجعل من التمرين النطقي
مشهداً مضاعفاً، ومزوداً بـ « عمق ». ولكن بدل أن تكون موسيقى الأصوات

هي « عمق » رسائنا (كما يحدث في شعرنا)، فإن المعنى سيكون هنا نقطة هروب المتعة. وكذلك حال المعنى بالنسبة إلى الآلة. إننا حين نعزو الهسهسة إليها، فإننا لا نعزو إليها سوى هسهسة غياب الضجة. وكذلك هو أيضاً حال المعنى حين يُنسب إلى اللغة. إنه قد يكون هذا المعنى الذي يُحدث السماع، ويستثني نفسه، أو — وهذا يعني الشيء نفسه — قد يكون هذا اللا معنى الذي يُسمِعُ الداني والنائي معنى متحرراً، من الآن فصاعداً، من كل الاعتداءات التي كانت علامتها علبة باندور(*)، تلك العلامة التي تشكلت في « الحزن التاريخي للبشر ».

هذه هي اليوطوبيا، من غير ريب. ولكن اليوطوبيا هي التي تقود البحوث الطلائعية غالباً. ثمة، إذن، هنا وهناك، وفي بعض الأوقات ما يمكن أن نطلق عليه تجربة الهسهسة: وإن هذا ليكون كبعض منتوجات الموسيقى البعد تسلسلية (وإنه لأمر هام جداً أن تعطي هذه الموسيقى للصوت أهمية قصوى: ذلك لأنها تزاوّل الصوت باحثة أن تشوه المعنى فيه، لا أن تشوه الحجم الصوتي)، وبعض الأبحاث في الهواتف اللاسلكية. وهي أيضاً آخر نصوص بيير غيوتا (Pierre Guyotat)، أو فيليب سولير (Philippe Sollers).

*

وثمة ما هو أكثر من ذلك. إننا نستطيع أن نقوم بهذا البحث حول الهسهسة بأنفسنا، سواء كان ذلك في الحياة، أم كان ذلك في مغامرات الحياة، وبما تحمله الحياة بشكل مرتجل. ففي ذات مساء، بينما كنت أشاهد فيلم أنطونيني

* — المقصود بعلبة بندور آلة موسيقية تشبه القيثارة . (م) .

عن الصين، اخترت هسهسة اللغة في لقطة من اللقطات: في شارع من شوارع إحدى القرى، كان بعض الأطفال جالسين مستندين إلى جدار، وهم يقرؤون بصوت مرتفع. كان كل واحد منهم يقرأ لنفسه، وجميعهم بعضهم مع بعض، كتاباً مختلفاً. ويهسهس هذا التجمع بشكل حسن، وكأنه آلة تسير سيراً جيداً. وكان المعنى، بالنسبة إليّ ممتنعاً خرقه بشكل مضاعف: فقد كنت أجهل اللغة الصينية، وكان يحول بيني وبين المعنى التشويش المتزامن لهؤلاء القراء. ولكني كنت أسمع، من خلال نوع من أنواع الإدراك الهاذي بمقدار ما كان هذا الإدراك يتلقاه من كثافة دقة المشهد، كنت أسمع الموسيقى، والنفس، والتوتر، والدقة. وكنت، باختصار، أسمع شيئاً يشبه الهدف، ماذا! هل يكفي أن نتكلم جميعاً لكي نجعل اللغة تهسهس، بشكل نادر، ومستعار من المتعة، كما جئنا على قوله؟ ليس ذلك كذلك على الإطلاق، وهذا مؤكد. ذلك لأن المشهد الصوتي يحتاج إلى شبقية (بالمعنى العام لهذه الكلمة)، وإلى الحماسة، أو إلى الاكتشاف، أو إلى مصاحبة بسيطة للانفعال: وهذا ما يحمله، تحديداً، وجه الطفل الصيني.

*

إني لأتصورني اليوم على طريقة اليوناني قديماً، تماماً كما وصفه هيجل: يقول، إنه كان يسأل بانفعال، ومن غير انقطاع، هسهسة أوراق الشجر، والينابيع، والرياح. وبإيجاز كان يسأل قشعريرة الطبيعة لكي يدرك قدر العقل. أما أنا. فإني أسأل قشعريرة المعنى وأنا أسمع هسهسة اللسان — إذ من هذا اللسان طبعتي، أنا، الإنسان المعاصر.

لذة النص

إن لذة النص لتشبه ذلك الذي يقلد باكون: إنها تستطيع أن تقول: لا اعتذار على الاطلاق، ولا تفاهم على الاطلاق. إنها لا تنكر شيئاً أبداً: « سأعرض ببصري، وسيكون هذا، من الآن فصاعداً، رفضي الوحيد ».

لنتخيل فرداً من الأفراد (إنه أي سيد، اسمه تيسيت معكوساً). فلقد ألغى الحواجز، والطبقات والموانع من نفسه، دون أن يكون ذلك منه تليقاً. ولكنه كان ببساطة، انعتاقاً من هذا الشبح العجوز: التناقض المنطقي. إنه يخلط كل اللغات، حتى وإن كانت مشهورة بتضادها. وإنه ليتحمل، دون أن ينبس، كل الاتهامات باللامنطقية، وانعدام الاخلاص. وإنه ليقف صامداً أمام التهكم السقراطي (اقتياد الآخر إلى ذورة الصغار: أن يناقض نفسه)، وأمام الإرهاب

المشروع (فكم من أدلة جنائية تأسست على الوحدة النفسية!). إن هذا الرجل سيكون عار مجتمعنا.

إن المحاكم، والمدرسة، والمصَحَّ، والأحاديث، ستجعل منه جميعها كائناً غريباً: إذ من ذا الذي يحمل التناقض على عاتقيه دون خجل؟. وما دام الأمر كذلك، فإن البطل المضاد لكائن: إنه قارئ النص، في اللحظة التي يياشر فيها لذته. وحينئذ، ستقلب أسطورة التوراة الهرمة رأساً على عقب. ولن يكون اختلاط اللغات بعد ذلك عقاباً. بل إن تعاشر اللغات، وعملها جنباً إلى جنب، سيدفع الذات إلى بلوغ متعتها: فلذة النص هي بابل السعيدة.

(لذة / متعة: ثمة ترجح اصطلاحى، وإني لأزلّ به، وأتشوش. وسيبقى، على كل حال، ثمة شيء من الحيرة على الدوام. ولن يكون التمييز مصدراً من مصادر التصنيفات

الأكيدة. وإن محور الاختيار سيعلو صريره، وسيكون المعنى عارضاً، ومنطوياً على قابلية نقضه، ومعكوساً، كما سيكون الخطاب ناقصاً.

إذا كنت أقرأ هذه الجملة بلذة، وهذه القصة، أو تلك الكلمة، فلأنها كتبت ضمن اللذة (فهذه اللذة لا تتعارض مع عذابات الكاتب). ولكن ما هو قولنا في العكس منها؟ هل الكتابة، ضمن اللذة، تضمن لي - أنا، الكاتب - لذة قارئ؟ أبدأ. ويقع على عاتقي إذن، أن أبحث عن هذا القارئ (أن «أغازله»)، من غير أن أعرف أين هو. وبهذا سيكون فضاء المتعة قد تُخلق. ذلك أن ما أحتاج إليه ليس هو «الشخص» في الآخر، وإنما الأمر الذي أحتاج إليه هو الفضاء: إذ في الفضاء إمكان الجدل الرغبة، وإمكان أيضاً لفجأة المتعة: ولكن، يجب ألا يكون اللعب قد انتهى. كما يجب أن يكون ثمة لعب.

يُعرض عليّ نص. ويشير هذا النص مللي. ولعلي أقول

إنه يشغخغ. غير أن ثغثغة النص ليست سوى رغبة اللغة. وإنها لتتشكل بتأثير حاجة بسيطة إلى الكتابة. فنحن هنا، لا نقيم في الفجور، ولكن في الالتماس. وإن الناسخ، حين يكتب نصه، ليصطنع من لغة الرضيع لغة له: إنها لغة الأمر، لغة آية، وغير عاطفية، حتى لكأنها قصف مفرقات صغيرة (إن هذه الأصوات الحليسية، هي التي وضعها اليسوعي الرائع جينيكان بين الكتابة والكلام): إنها حركات امتصاص لا يحتوي على شيء. وهي شفوية لا تتباين. كما أنها مقطوعة بعيدة عن تلك التي تنتج اللذائذ في فن الطهي والكلام.

إنكم لتتجهون إليّ لكي أقرأكم. ولكني، بالنسبة إليكم، لست شيئاً آخر غير هذا التوجه. وأنا لست في أعينكم البديل لشيء من الأشياء. وكأني لا صورة لي (أو هي صورة تكاد تشبه صورة الأم قليلاً). وأنا، بالنسبة إليكم، لست جسداً، ولا شيئاً (ولا يهمني أن أكون: فالروح قي لا تطالب أحداً بالاعتراف بها). ولكني فقط حقل، وانتشار واسع.

ويمكن القول، أخيراً، إن هذا النص قد كتبتموه بعيداً عن أي متعة. كما يمكن القول إن هذا النص — الثغثغة، إنما هو نص عنين في النهاية. وكذلك هو حال أي طلب، قبل أن تتشكل الرغبة فيه والعُصاب.

إن العُصاب، هو السبيل الوحيد الباقي: ليس بالنسبة إلى «الصحة»، ولكن بالنسبة إلى «المستحيل الذي يتكلم

عليه باتاي (« فالعصاب هو الفهم الوجمل لقاع
مستحيل »، إلى آخره). ولكن هذا السبيل الباقي، هو الذي
يسمح بالكتابة (والقراءة). وإنما سنصل، حيثئذ، إلى هذه
المفارقة: إن النصوص، مثل تلك التي كتبها باتاي — أو أي
نصوص أخرى — والتي كتبت ضد العصاب، هي من قلب
الجنون. وإنما لتتطوي في ذاتها، إذا أرادت أن تُقرأ، على هذا
القليل من العصاب الضروري لإغواء قارئها: إن هذه
النصوص المرعبة، هي نصوص مغناجة مع ذلك.

إن كل كاتب سيقول إذن: مجنوناً لا أستطيع أن
أكون. ومعافى لا يليق بي أن أكون. وأما أن أكون عصائياً،
فأنا كذلك.

يجب على النص الذي تكتبونه لي، أن يعطيني الدليل
بأنه يرغبني. وهذا الدليل موجود: إنه الكتابة. وإن الكتابة
لتكمن في هذا: علم متعة الكلام، إنه كاماسوتراه

(Kāmasūtrā)، ولم يبق من هذا العلم سوى مصنف واحد: إنه الكتابة نفسها)*.

ساد: تأتي لذة القراءة، كما هو معلوم، من بعض القطيعات (أو من بعض الصدمات): فهناك سنن متنابهة (بين النبيل والزقائي مثلاً). وإن هذه السنن ليدخل بعضها مع بعض في تماس. وتنشأ عن هذا الأمر مفردات طنانة وساخرة. وثمة رسالات فضائية تدخل في قالب من الجمل، نقية جداً، حتى لنحسبها أمثلة لجمل القواعد. وكما تقول نظرية النص: لقد تمت إعادة توزيع اللغة. وإن إعادة التوزيع هذه، إنما تتم بالقطيعة دائماً. وإنه ليرتسم، نتيجة لهذا، جانبان: جانب حكيم، موافق، مُتَّحِل (والمقصود منه هو نسخ اللغة في حالتها المقننة، تماماً كما حددتها المدرسة، والاستعمال الجيد، والأدب، والثقافة). وجانب آخر، متحرك، وفارغ (مستعد أن يأخذ أي دائرة من الدوائر) التي

* — Kāmasūtrā : كاماسوترا مجموعة حكم عن الحب . كتبها فاتسيايانا باللغة السانسكريتية في القرن الرابع أو الخامس الميلادي . وهي تتضمن تعاليم عن الزواج ، والعشاق ، وعن التقاليد واستخدامات الزمن . وهو كتاب نثري في معظمه . (م) .

لم تكن قط سوى مكان لتأثيره: هنا حيث يترأى موت الكلام. وإن هذين الجانبين، بما في ذلك التوافق الذي يخرجاناه، لضروريان. فليست الثقافة، ولا تحطيمها بشقيين. وما يصير كذلك، إنما هو الصدع بينهما. أما لذة النص، فشيبة بتلك اللحظة غير المستقرة، وغير الممكنة، والروائية البحتة، إنها تلك اللحظة التي يتذوقها الداعر، في نهاية مؤامرة جريئة، وهو يقطع الجبل الذي يشنقه، في اللحظة التي يلتذ فيها.

ربما تكون ثمة طريقة لتقييم أعمال الحداثة: فقد تأتي قيمة هذه الأعمال من ازدواجيتها. ويجب أن نفهم من هذا أن لها جانبيين على الدوام. جانب الهدم، وهو يبدو مفضلاً، لأنه جانب العنف. ولكنه ليس العنف الذي يؤثر في اللذة. فالهدم لا يستهويها. وإن ما تريده هو مكان الضياع، والصدع، والقطيعة، والانكماش، وخفض الصوت الذي يستحوذ على الذات في قلب المتعة. وهذا يعني أن الثقافة، إذن، تعود للظهور بوصفها جانباً: وذلك تحت أي شكل من الأشكال.

وبدهي أن نقول إن أكثر ما سيكون ظهورها
خصوصية (وهنا يكون الجانب أكثر وضوحاً) ليتجلى في
شكل مادي بحت: في اللغة، ومعجمها، وأوزانها، وبجورها،
وعروضها. وإنما لئلا نرى أن كل شيء في قوانين فيليب سولير
قد هوجم وتهدم: الأبنية الإيديولوجية، والتضامن الثقافي،
وانفصال اللهجات، وحتى البنية المقدسة للنحو (مبتدأ /
خير): فالنص لم يعد يتخذ الجملة نموذجاً. فلقد غدا، غالباً،
دفعاً قوياً من الكلمات، وشريطاً تحتياً للغة. ومع ذلك، فإن
كل هذا يصطدم بجانب آخر: إنه جانب الوزن (الذي
يتألف البيت فيه من عشرة مقاطع)، والسجع، واستحداث
الممكن من الكلمات، والإيقاعات العروضية،
والاستشهادات المتبدلة.

إن القول السياسي يقطع هدم اللغة التي تحيط بها
ثقافة الدال القديمة جداً.

في (كوبرا) لسيرفيرو سارودي (وهي بترجمة سولير
والمؤلف)، نجد أن التناوب قائم في لذتين، المنافسة حالهما.
وإننا لنجد أن الجانب الآخر منهما، هو السعادة الأخرى:
أيضاً، ثم أيضاً، ثم أكثر أيضاً، كلمة أخرى أيضاً وعيد آخر

أيضاً.

إن اللغة لتبني في مكان آخر، بينها الدفق المستحيل لكل لذائذ اللغة. ولكن أين، وفي أي مكان آخر؟. إنه في فردوس الكلمات. هنا يكون النص فردوسياً حقاً، وطوباًوياً (من غير مكان)، وشذوذاً ممتلئاً كلاً: إن كل الدوال قائمة هنا، وإن كل دال منها ليصيب هدفه. ويبدو أن الكاتب (القارىء) يقول لها: أحبك جميعاً (أحبك كلمات، وأشكالاً، وجمالاً، وصفات، وقطيعات: أحبك حابلاً وناهبلاً: أحب الإشارات، وأشباح الأشياء التي تمثلها). إن ثمة نوعاً من الفرنسييسكانية تدعو كل الكلمات لكي تستقر، وتسرع، وتسافر مرة أخرى: فإذا بالنص حجر كريم، مختلف الألوان، موسى.

إننا باللغة لمغمورون. مثلنا في ذلك مثل صغار الأطفال. إنهم لا يُرفض لهم طلب أبدأ. أو لا يلامون على شيء فعلوه أبدأ. أو، في أسوأ الأحوال، لا يسمع لهم بشيء أبدأ. وإن هذا رهان لا يتهاج متواصل، ورهان للحظة يخنق فيها الإفراط في الكلام لذة الكلام، فيقع في المتعة.

يمثل فلوير: صورة من صور قطع الكلام، وخرق

الخطاب، من غير أن يجعله أخرق.

وإنه لمن المؤكد، أن البلاغة تعرف انقطاعات (أي الفصل البلاغي)^(٥)، كما تعرف انقطاعات الوصل (الفصل)^(٥٥)، ولكننا نجد أن الانقطاع، وللمرة الأولى مع فلوبيير، لم يعد استثناء، ولا حالة فردية، ولا لامبماً، ولا ترصيعاً في المادة الخسيسة لعبارة متداولة: إذ لم تعد هناك لغة من غير هذه الصور (وهذا يعني، بصيغة أخرى: أنه لم يعد هناك سوى اللغة).

قد يستحوذ الفصل المعمم على التعبير كله. فيكون هذا الخطاب المقروء جداً، بطريقة خفية، واحداً من أكثر الخطابات جنوناً، كما نستطيع أن نتخيل: إذ ذاك تُدفن كل القيم المنطقية الصغيرة بين الفرج.

ها هي ذي حالة من حالات الخطاب. إنها دقيقة جداً، وغير مستقرة تقريباً: فالجانب السردي في القصة

* — تبديل مفاجيء في بناء العبارة (م) .
* * — حذف أداة الوصل بين عبارتين لغاية بلاغية (م) .

مفكك، ومع ذلك فإنها مقروءة: إذ لم يكن قط جانباً الصدع أكثر وضوحاً وحدّة منهما الآن. ولم تُمنح اللذة قط إلى القارئ بشكل أحسن مما هي عليه الآن — هذا إذا كان يتذوق القطيعات المنضبطة على الأقل، والتزعات المحافظة الملفقة، والهدم غير المباشر، وزيادة على هذا، فإن النجاح يستطيع أن يحمل على الكاتب، فيضيف إليه لذة الأداء: فالمروءة تقضي بالحفاظ على الإيماء اللغوي (ذلك لأن اللغة تقلد ذاتها). وهذا مصدر من أكبر مصادر المسرة، وبشكل غامض غموضاً جذرياً (غامض حتى الجذور). فلا يقع النص تحت الوعي الحسن (والنية الخبيثة) للسخرية (للضحك الخاصي، و «للهزة الذي يثير الضحك»).

ألا يكون المكان الأكثر شهوانية في الجسد هو ذلك المكان الذي يظهر من ثناؤب الثياب؟ إذ لا يوجد في الانحراف (الذي هو نظام لذة النص) (مناطق شبقية)، (وهذا تعبير مزعج على كل حال). فالشهواني إنما هو التناوب، كما بيّن ذلك التحليل النفسي: إنه ذلك الجزء من البشرة الذي يبرق بين قطعتين من القماش. (بين السروال والقميص) وبين جانبيين (بين جانب القميص الفاعر،

وجانب القفاز والكم). إن هذا البريق هو الذي يشير الفتنة،
أو هو أيضاً الإخراج الذي يحدد الظهور والاختفاء.

لا تكمن هنا لذة التعرية الجسدية، ولا لذة الترقب
السردى. إذ ليس في الحالتين ثمة تمزق ولا جوانب: إنه إماطة
متتابة للغطاء: وإن التيهج ليلجأ إلى الأمل في رؤية الفرج
(وهذا حلم تلميذ في الثانوية)، أو في الوصول إلى نهاية
الحكاية (وهذا هو الأشباع الروائي). أما الذي نحن فيه، فهو
على العكس من ذلك (لأن ثمة استهلاكاً جماعياً). إنه لذة
ذات طابع ثقافي أكبر من اللذة الأخرى: إنها لذة أوديبية
(قوامها التعرية، والمعرفة، والاطلاع على الأصل والنهاية)،
وذلك حين يكون صحيحاً أن كل قصة (كل كشف عن
الحقيقة) إنما هي إظهار للأب (الغائب، المحتبى، أو الموقم)
— وهذا ما يفسر تعاضد الأشكال السردية، والبنى العائلية،
وحرمانية التعرية، وإنها لمجتمعها كلها عندنا، في أسطورة نوح
الذي ستره أبنائه.

ومع ذلك، فإن القصة الأكثر كلاسيكية (مثل رواية لزولا، أو لبلزك، أو لديكتر، أو لتولستوي) لتحمل في ذاتها نوعاً من الفسخ الضعيف: فنحن لا نقرأ كل شيء بكثافة القراءة نفسها. إذ ثمة إيقاع ينشأ، وإنه لإيقاع رقيق، قلما يحترم كمال النص.

وإن التعطش إلى المعرفة ليدفع بنا إلى أن نخلق بعض الفقرات أو نتجاوزها (تلك الفقرات التي نحس بأنها «مملة») لكي نصل بسرعة إلى مواضع الطرفة المحرقة (التي تمثل مفاصلها دائماً: وهذا ما يسارع إلى الكشف عن العقدة أو القدر): وإنما لنقفز، دون خوف من عقاب (فلا أحد يرانا)، فوق الوصف، والشروح، والتأملات، والمحادثات. وإنما لنشبه حينئذ مُشاهداً في ملهى من الملاهي. فهو يعتلي المسرح، ويستعجل الراقصة لكي يزرع عنها ملابسها برشاقة، ولكن بترتيب، أي: بالتقيد بوقائع الطقس من جهة، وبتعجيل وقائع هذا الطقس من جهة أخرى. (وإنه ليشبه في ذلك قسيساً يخف في صلاته). إن الفسخ، وهو ينبوع اللذة أو صورة من صورها، ليضع هنا جانين نثريين وضعاً متقابلاً. فيعارض ما فيه فائدة لمعرفة السر مع ما لا فائدة فيه لذلك. وإن هذا لشرح ناتج عن مبدأ بسيط من مبادئ الوظيفة. وهو لا ينتج من بنى اللغات نفسها، ولكنه ينتج في لحظة استهلاكها فقط. ومع ذلك، فإن الكاتب لا يستطيع أن يتنبأ بهذا: لأنه لا يريد أن يكتب ما لا نقرأ. ومع ذلك،

فإن الإيقاع نفسه لما نقرأ ولما لا نقرأ هو الذي يحدث اللذة في القصص الكبرى: ألم نقرأ قط بروست، أو الحرب والسلام، كلمة فكلمة؟ (إن السعادة في بروست: أننا من قراءة إلى أخرى، لا نقفز أبداً فوق الفقرات نفسها).

إن ما أتذوقه في قصة من القصص، ليس هو مضمونها مباشرة، ولا بنيتها، ولكني أتذوق بالأحرى الخدوش التي أفرضها على الغلاف الجميل: إنني أركض، وأقفز، وأرفع رأسي، وأعود للغوص ثانية. وليس لهذا أي علاقة بالتمزق العميق الذي يرسخه نص المتعة في اللغة نفسها، لا في قراءته الزمانية البسيطة.

وينتج عن هذا، نظامان للقراءة: ثمة قراءة تتجه مباشرة إلى مفاصل القصة. وهذه القراءة تهتم بامتداد النص، وتجهل ألعاب اللغة (فإذا قرأت جيل فيرن، فإني سأمضي سريعاً: سأضيّع أطرافاً من الخطاب، ولن تُفتن قراءتي، مع ذلك، بأي ضياعٍ كلامي — وذلك بالمعنى الذي تستطيع هذه الكلمة أن تأخذه في فن استكشاف المغارات).

وثمة قراءة لا تعطي شيئاً. إنها تزن النص، فتلتصق به، وتقرؤه حرفياً، إذا صح أن نقول هذا، وبحماسة. وتلتقط

في كل نقطة من نقاط النص، ما حذف من أدوات الوصل التي تقطع اللغات، دون أن تقطع القصة: فليس الاتساع (المنطقي) هو الذي يأسرنا، ولا نزع أوراق الحقائق، ولكنه توريق المعنى.

وإن الأمر ليشبه لعبة اليد الساخنة، فالإثارة لا تأتي من التسارع التدريجي، ولكن من نوع الضجيج العمودي (عمودية اللغة وتحطيمها).

إذ في اللحظة التي تقفز فيها كل يد (مختلفة) فوق الأخرى (وليس بعد الأخرى)، ينشأ الثقب، ويحمل موضوع اللعب — موضوع النص. ونجد، على العكس من ذلك، (يعتقد الرأي العام أنه يكفي المرء أن يمضي سريعاً لكي لا يصاب بالملل) أن هذه القراءة الثانية الدقيقة (بكل معنى الكلمة) هي التي تناسب النص المعاصر، نص — النهاية اقرؤوا ببطء، اقرؤوا كل شيء في رواية من روايات زولا، حينها سيقع الكتاب بين أيديكم، اقرؤوا بسرعة، اقرؤوا مقتطفات من النص المعاصر، فإن هذا النص سوف يغدو مظلماً، وسيحرمه حقه في إعطائكم اللذة: أنتم تريدون أن يحدث أمر ما، ولكن لا شيء يحدث، لأن ما يحدث في اللغة لا يحدث في الخطاب: إن الذي يحدث، هو الذي «يمضي».

وإن ما ينتج في حجم اللغات، وفي التعبير، وليس في تنابع العبارات، إنما هو شرح بين الحافتين، وفجوة المتعة: وما

يجب على المرء أن يقوم به لقراءة كتاب اليوم، ليس الالتهام، ولا الابتلاع، ولكن الرعي بدقة، والجز بعناية: يجب أن يكون المرء أرسقراطياً.

وإذا كنت أقبل أن أحكم على نص بما تقتضيه اللذة، فأنا لا أستطيع أن أسمح لنفسي بالقول: إن هذا جيد، وإن هذا لسيء. إذ ليس ثمة قائمة للجوائز، كما أنه ليس ثمة نقد. فالنقد يتطلب دائماً هدفاً تكتيكياً، واستخداماً اجتماعياً، كما يتطلب دائماً غطاءً خيالياً. وأنا لا أستطيع أن أقدر، ولا أن أتصور النص كاملاً، ومستعداً أن يدخل في لعبة الاسناد المعياري: هذا كثير، وهذا قليل. فالنص (وينطبق الشيء نفسه على الصوت الذي يغني) لا يستطيع أن يقتلع مني غير هذا الحكم. وهو حكم لا يحمل أي نعت: هذا هو! وأكثر من هذا أيضاً: هذا بالنسبة إليّ. وإن عبارة «بالنسبة إليّ» ليست ذاتية، ولا هي وجودية، أو نيتشوية («... في العمق يكون السؤال نفسه: ماذا يعني هذا بالنسبة إليّ...»).

إن حرارة النص (والتي من غيرها لا يوجد نص في النتيجة) ستكون إرادته في المتعة: هنا بالذات حيث يفرض في الطلب، ويتعدى الشغفة، ويحاول أن يتجاوز النعوت، وأن يحرق سيطرتها، فهي أبواب اللغة التي ينفذ عبرها المتخيل والإيديولوجيا بدفق كبير.

إن نص اللذة: هو النص الذي يرضي، فيملاً، فيهب الغبطة. إنه النص الذي ينحدر من الثقافة، فلا يحدث قطيعة معها، ويرتبط بممارسة مريحة للقراءة. وأما نص المتعة: فهو الذي يجعل من الضياع حالة، وهو الذي يحيل الراحة رهقاً (ولعله يكون مبعثاً لنوع من الملل)، فينسف بذلك الأسس التاريخية، والثقافية، والنفسية للقارئ نسياً، ثم يأتي إلى قوة أذواقه، وقيمه، وذكرياته، فيجعلها هباء منثوراً. وإنه ليظل به كذلك، حتى تصبح علاقته باللغة أزمة.

وإذا كان ذلك كذلك، فإن ذاتاً تحجز النصين في حقلها، وتمسك بزمام اللذة والمتعة في يدها، فهي ذات تنطوي على مفارقة تاريخية. ذلك لأنها تساهم بأن واحد، وبشكل متناقض في إنشاء النزعة العميقة للمتعة في كل

ثقافة (وهي نزعة تدخل الذات هادئة، تحت ستار فن العيش، الذي يجعل الكتب القديمة جزءاً منه)، كما تساهم في هدم هذه الثقافة: وإنما لتستمتع بقوة أناها (وهذه هي لذتها)، وتبحث عن ضياعها (وهذه هي متعتها). وإن ذاتاً تكون هكذا، هي ذات مغلقة مرتين، ومعلقة مرتين.

ثمة جمعية تسمى جمعية أصدقاء النص: قد لا يكون بين أعضائها شيء مشترك (لأنهم لا يتفقون ضرورة على نصوص اللذة)، اللهم ما عدا اشتراكهم في أعدائهم: وهؤلاء طفيليون من كل الأنواع. فهم يصدرون المراسيم بإسقاط حق النص ولذته، سواءً أكان دافعهم إلى ذلك المحافظة الثقافية، أم العقلانية المتصلبة (التي تشك في «صوفية» الأدب)، أو الأخلاق السياسية، أو نقد الدالّ، أو الذرائعية الحمقاء، أو البلاهة المهرجة، أو هدم الخطاب، أو فقدان الرغبة الكلامية. ولن يكون لجمعية كهذه مكان، ولا تستطيع أن تتحرك إلا في مكان طوباوي. وسيكون ذلك، بالأحرى، نوعاً من أنواع المجمعات، يُعترف فيه بالتناقضات (وهذا يعني، إذن، أن مخاطر الغش الإيديولوجي ستكون محدودة). وسيكون الاختلاف بارزاً، بينما يكون الصراع

محروماً من أي معنى (وذلك لأنه لا ينتج أي لذة).

«ألا فليُنسَل الاختلاف خفية مكان الصراع»،
فالاختلاف لا يحجب الصراع ولا يحلّيه: وهو لا يؤخذ
عنوة ضد الصراع. وإنه منه لبعيد وقريب. والصراع لن
يكون شيئاً آخر غير الحالة الأخلاقية للاختلاف. إذ في كل
مرة (وهذا يصبح متكرراً) لا يكون فيها تكتيكياً (ويهدف
إلى تحويل وضع واقعي)، فإننا نستطيع أن نلاحظ فيه نقصاً
في المتعة، وفشلاً في الانحراف الذي سينبسط تحت نسقه
الخاص، ولن يعرف كيف يدع ذاته: لقد كان الصراع
منسقاً على الدوام. ولم يكن العداء، سوى لغات مبتذلة.
وإنني حين أرفض العنف، فإنني أرفض النسق بالذات. (لا
توجد، في النص السادي، صراعات خارج أي نسق، وذلك
لأنه يخترع باستمرار نسقه الخاص، أي نسقه فقط: ولا
يوجد شيء غير الانتصارات). وأنا أحب النص، لأنه يمثل
بالنسبة إلي فضاء نادراً من فضاءات اللغة. أحبه لأنه تغيب
عنه كل «خصومة» (بمعنى خصومة المتزوجين والأزواج على
وجه الدقة)، وكل جدل لفظي. وإن النص لم يكن قط
«حواراً»: فلا خطر من التظاهر، ولا من الاعتداء، ولا من

الابتزاز، كما أنه ليست فيه أية منافسة بين اللهجات. وإنه لينشئ في قلب العلاقة الإنسانية — المألوفة — جزيرة، فيُظهر الطبيعة غير الاجتماعية للذة (الفراغ وحده هو الاجتماعي)، ويدعنا نرى الحقيقة الفاضحة للمتعة: إذ بإمكانها أن تكون محايدة، بعد أن يكون كل خيال من أخيلة الكلام قد أصبح باطلاً.

يبدو أن العلماء العرب، حين يتحدثون عن النص، يستخدمون هذا التعبير الرائع: «الجسد اليقيني». أي جسد؟ إن لدينا أجساداً عديدة. فلدينا جسد لعلماء التشريح، وجسد لعلماء وظائف الأعضاء. وإن هذا الجسد الذي يراه العلم ويتكلم عنه، هو نص النحاة، والنقاد، والمفسرين، وفقهاء اللغة (إنه النص الظاهر). ولكن لدينا أيضاً نص المتعة. وهو مصنوع، فقط، من العلاقات الجنسية. وهو جسد لا تربطه بالأول أية صلة: إنه مكون من أجزاء أخرى، وله تسمية أخرى، إنه ليس سوى القائمة المفتوحة لنيران اللغة (هذه النيران الحية، والأنوار المتناوبة، والسمات المتقلبة، المنظمة في النص وكأنها البدار الذي يعوّض لمصلحتنا «الخلق الخالد»، و «الزوييرا»، والمفاهيم العامة، وصور الصعود الأساسية للفلسفة القديمة).

ألا إن للنص صيغة إنسانية، فهل هي صورة، وجناس تصحيفي للجسد؟ أجل، إنها لكذلك بالنسبة إلى جسدنا الجنسي. وإذا كان هذا هكذا، فإن لذة النص لن

تُختزل إلى وظيفتها القاعدية (النص الظاهر)، كما أن لذة
الجسد لن تُختزل إلى الحاجة العضوية.
إن لذة النص، هي تلك اللحظة التي يتبع فيها
جسدي أفكاره الخاصة — ذلك لأن أفكار جسدي ليست
كأفكاري.

كيف يمكن للمرء أن يتلذذ بلذة محكية (ضجر
قصص الأحلام، والنزه)؟ ثم كيف يمكن للمرء أن يقرأ
النقد؟. ثمة طريقة واحدة: إنني أحتاج أن أبدل موقعي، لأنني
هنا قارئ من الدرجة الثانية: فعوضاً عن أن أكون نجياً هذه
اللذة النقدية — لأن هذه طريقة أكيدة لكي لا أناها —
أستطيع أن أجعل من نفسي متلصصاً: فأراقب خفية لذة
الآخر، وأدخل في الانحراف. وسيصبح التفسير حينئذ، وفي
نظري، نصاً، ووظيفة، وطرفاً مشقوقاً. وإن انحراف الكاتب
(إن لذته في الكتابة لا وظيفة لها) ليضاعف مرتين أو ثلاثاً
وإلى ما لا نهاية انحراف الناقد وقارئه.

إن نصاً يكتب عن اللذة، لن يستطيع أن يكون شيئاً
آخر غير نص قصير (أو كما يقال: أهذا كل شيء؟. إنه
لقصير نسيباً)، ذلك لأن اللذة لا تسمح لنفسها بالتعبير إلا
من خلال طلب غير مباشر (إن اللذة حق لي). وهكذا،
فإننا لن نخرج عن جدل قصير يقوم على زمنين: زمن
المطابقة، والرأي العام، وزمن المخالفة، والاعتراض. وينقص
مصطلح ثالث، غير اللذة ورقابتها هذا المصطلح نرجئه إلى
وقت لاحق. وما دما متفقين على اسم «اللذة» نفسه، فإن
أي نص عن اللذة لن يكون إلا تسويقياً. وسيكون مدخلاً
لشيء لن يكتب أبداً. شيء شبيه بمنتجات الفن المعاصر،
تلك المنتجات التي تستهلك ضرورتها مباشرة بعد رؤيتها لها
(لأن رؤيتها تعني أن نفهم مباشرة الغاية التدميرية التي تتعرض
لها: إنها لم تعد تتضمن وقتاً تأملياً أو تلذذياً). وإن مثل هذا
المدخل، لا يستطيع إلا أن يكرر نفسه، دون أن يدخل شيئاً
على الإطلاق.

إن لذة النص لا تتخذ بالضرورة من النمط المنتصر،
ولا من النمط البطولي، ولا من النمط العضلي نموذجاً لها. فهي
في غير حاجة أن تتفوس استعداداً للقتال. فلذتي تستطيع أن

تجعل من الشكل انحرافاً. وإن الانحراف ليقع في كل مرة لا أحترم فيها الكل. فأمكث ثابتاً، ودائراً حول متعة شرسة تربطني بالنص (بالعالم). ولفرط ظهوري هنا وهناك، أبقى معلقاً بإرادة الوهم، والإغواء، والتهديد اللغوي، مثل سداة يحملها الموج. وثمة انحراف يظهر، في كل مرة تنقصني فيها اللغة الاجتماعية، أو لهجة الجماعة (وإن هذا ليثبه قولنا: ينقصني القلب). ولعله من أجل هذا سيكون ثمة اسم آخر للانحراف: الشراسة — أو ربما أيضاً: الحماقة.

ومع هذا، فإن قول الانحراف اليوم، إذا ما وصلنا إليه، سيكون خطاباً انتحارياً.

لذة النص، أو نص اللذة: إن هذه التعابير لغامضة. ولا توجد كلمة فرنسية تغطي، في الوقت نفسه، اللذة (الرضى)، والمتعة (الاضمحلال) وإن اللذة هنا، في النتيجة، لتتسع تارة (ومن غير إخطار) فتحتوي على المتعة. وإنما لتتعارض معها تارة أخرى. ولكن لا بد لي من التوافق مع هذا الغموض. وذلك لأني محتاج، من جهة، إلى لذة عامة في كل مرة يتوجب عليّ فيها أن احيل وعلى ما في النص من إسراف، وإلى ما يتجاوز فيه كل وظيفة (اجتماعية) وكل

عمل (بنوي). وإني لمحتاج، من جهة أخرى، إلى «لذة» خاصة، بسيطة وتشكل جزءاً من اللذة الكلية، وذلك في كل مرة يتوجب عليّ فيها أن أميز المسرة، وسر الفراغ، والرفاهية، (وهذا إحساس بالامتلاء، حيث تنفذ الثقافة نفاذاً حراً) من الزلزلة، والقلقلة، والضياع الخاص بالمتعة. وإني ملزم بهذا الغموض، لأني لا أستطيع أن أنقي كلمة «لذة» من المعاني، والتي لا أريدها عرضاً: فأنا لا أستطيع، في اللغة الفرنسية، أن أمنع كلمة «لذة» من أن تحيل، في الوقت نفسه، إلى معنى عام («مبدأ اللذة»)، وعلى معنى صغير جداً («إنما جعل الحمقى في الحياة الدنيا من أجل لذائذنا الصغيرة»). وهذا يعني، إذن، إني مضطر أن أترك عبارة نصي تذهب في التناقض.

ألا تكون اللذة سوى متعة صغيرة؟. والمتعة، ألا تكون سوى لذة متطرفة؟. أفلا تكون اللذة سوى متعة أصابها الضعف، فهي مقبولة، ومنحرفة عبر سلسلة من المصالحات؟. ويتعلق على الجواب (نعم أو لا) التاريخ الذي نصادف فيه حدائتنا. فإذا قلت إن الفارق بين اللذة والمتعة هو فارق في الدرجة، فإني أقول أيضاً إن السلام قد عاد إلى

التاريخ: وبهذا يكون نص المتعة هو التطور المنطقي، والعضوي، والتاريخي لنص اللذة، وأما الطليعة، فلا تكون أبداً سوى الشكل المتقدم، والمتحرر لثقافة الماضي: فاليوم يخرج من البارحة، وروب غربية موجود في فلوير، وسولير في رابليه، وكل نيكولا دي ستايل موجودة في ستمترين مربعين من سيزان، وأما إذا رأيت على العكس من هذا، أن اللذة والمتعة قوتان متوازيتان وأنهما لا تستطيعان أن تلتقيا، وأن ما يوجد بينهما إنما هو أكثر من معركة: إنه انقطاع الإيصال.

فحينئذ أحتاج أن أفكر جيداً بأن التاريخ، تاريخنا، ليس ساكناً، ولعله أيضاً ليس ذكياً. وأن نص المتعة إنما ينبثق فيه دائماً على شكل فضائحي و (أعرج)، وأنه دائماً أثر لقطيعة، ولإثبات، (وليس لتفتح)، وأن الذات في هذا التاريخ ليست سوى (تناقض حي). (هذه الذات التاريخية تعني أنني كائن بين آخرين)، وإنما لبعيدة كل البعد من أن تستطيع هدوءاً ما دامت تروم مباشرة أن تتذوق أعمال الماضي، وأن تدعم الأعمال الحديثة، متخذة شكل حركة جدلية جميلة في تركيبها. إنها ذات منغلقة، تتمتع في الوقت نفسه، عبر النص، بكثافة أنها وسقوطها.

ثمّة طريقة، على كل حال، قدمها علم النفس للتفريق بين نص اللذة ونص المتعة: إن اللذة قابلة للوصف، وإن المتعة غير قابلة لذلك.

إن المتعة لتدق عن الوصف، ولكنها توصف من داخلها. وإنما للمنوعة، ولكنها تقال بالمشاركة. وأحيل على لاكان الذي قال: (« إن ما يجب أن نوليه الاهتمام، هو أن المتعة ممنوعة على الذي يتكلم، بوصفه متكلماً، أو أيضاً إن المتعة مما لا يمكن قوله إلا بين السطور... »). وأحيل على لوكير الذي يقول: (« ... إن الذي يقول يمنع المتعة عن نفسه بقوله. أو إن الذي يتمتع يجعل، بالترابط، كل حرب — وكل قول ممكن — يتبخر في الإلغاء المطلق الذي يعمل على بيانه »).

إن كاتب اللذة (والقارئ معه) يقبل الحرف. وهو إذ يفعل ذلك، يتخلى عن المتعة. وهذا يعطيه الحق فيها، والقدرة على قولها: فالحرف لذته، وهو مسلوب فيه، مثله في ذلك مثل كل أولئك الذين يحبون اللغة (وليس الكلام)، كعشاق اللفظ، والكتاب، وكتاب الرسائل، واللسانيين. وهذا يعني إذن، أننا نستطيع أن نتكلم عن نصوص اللذة (بينما لا تقوم أي مناقشة مع إلغاء المتعة): وإن النقد ليحيل دائماً على نصوص اللذة. ولا يحيل أبداً على نصوص المتعة: وإننا لنجد أن التعليق على كتاب مثل فلوير، وبروست، وستندال لا ينضب. والنقد يقول حينئذ: باطلة متعة النص الوصي، المتعة الماضية أو المستقبلية: إنكم ستقرؤون، إنني قد قرأت: فالنقد دائماً، إما تاريخي وإما مستقبلي: ولذا نرى أن الحاضر المتحقق، وعرض المتعة ممنوعان عنه. وهكذا تكون

الثقافة هي مادته المفضلة. وإن هذه المادة لهي كل شيء فينا
ما عدا حاضرنا.

يبدأ النص غير الثابت، النص المستحيل مع الكاتب
و(قارئه). وما لم يجتمع هذا النص بنص متعة آخر، فإنه يقع
خارج اللذة، وخارج النقد: وأنتم لا تستطيعون أن تتكلموا
« عن » مثل هذا النص. ولكنكم تستطيعون أن تتكلموا
فقط « في » هذا النص، وأن تنهجوا منهجه. كما يمكنكم أن
تلجوا في سرقة أدبية مدهنة، وأن تؤكدوا بشكل هستيري
فراغ المتعة (وليس لكم أن تكررروا بشكل استحواذي حرفية
اللذة).

ثمة أسطورة صغيرة، تميل إلى جعلنا نعتقد أن اللذة
(وخاصة لذة النص)، إنما هي فكرة يمينية. وفي اليمين،
وبالحركة نفسها، نتهم اليسار بكل ما هو مجرد، وممل
وسياسي لنحتفظ باللذة كل لنفسه: أهلاً بكم بيننا. أنتم
يا من جئتم أخيراً إلى اللذة في الأدب. وأما في اليسار،
وبدافع أخلاقي، فنزدري (متناسين سيجار ماركس
وبريخت) كل « نفايات نزعة المتعة »، ونشك فيها. كذلك
في اليمين، فإننا نطالب باللذة لنجعلها مضادة للعقلانية

والكهنوت: هذه هي الأسطورة الرجعية القديمة، الأسطورة التي تجعل القلب مضاداً للرأس، والانطباع مضاداً للاستدلال «والحياة» مضادة «للتجريد» (البارد): ويجب على الفنان باتباع المبدأ المشؤوم لدييوسي « أن يبحث بتواضع لكي يصنع اللذة ». إن اليسار يجعل المعارضة واقعة بين « اللذة البسيطة » وبين المعرفة، والمنهج، والالتزام، والمعرفة (ومع ذلك: فماذا يكون لو أن المعرفة نفسها كانت لذة؟). ولقد نجد عند الجانبين هذه الفكرة الغريبة، وهي أن اللذة شيء بسيط. ولعله من أجل هذا، نطالب بها في جانب، ونحتقرها في الجانب الآخر. غير أن اللذة، مع ذلك ليست عنصراً من عناصر النص، ولا هي نفاية ساذجة، كما أنها لا تتعلق بالمنطق الوضعي. إنها انحراف، وشيء ثوري، وغير اجتماعي في الوقت نفسه. ولا يمكن لأي جماعة، ولا لأي عقلية، ولا لأي لغة فردية أن تتعهدا. أتراها تكون شيئاً محايداً؟. إننا لنرى جيداً أن لذة النص شيء فضائحي: وليس ذلك لأنها غير أخلاقية، ولكن لأنها خيالية.

لماذا نجد في نص من النصوص، كل هذه الأبهة الكلامية؟. أيشكل ترف اللغة جزءاً من الثروات الزائدة،

ومن الإنفاق غير المجدي، ومن الضياع غير المشروط؟ وهل يشارك عمل كبير من أعمال اللذة (وليكن عمل بروسث مثلاً) في الاقتصاد نفسه الذي تشارك فيه أهرامات مصر . وهل يكون الكاتب اليوم هو البديل المتخلف للمتسول، والراهب، والعابد البوذي: لا ينتج، ومع ذلك يتغذى؟ وقياساً على مجتمع الرهبان البوذيين، هل يصون المجتمع التجاري الطائفة الأدبية، بغض النظر عن العذر الذي يعطيه لنفسه، لا لأن الكاتب ينتج (فهو لا ينتج)، ولكن بسبب ما يستهلكه؟ إنها طائفة زائدة ولكنها لا تخلو من جدوى.

تبذل الحداثة جهداً مستمراً لكي تتجاوز التبادل: إنها تريد أن تتصدى لسوق الأعمال الأدبية (مبعدة ذاتها عن الإيصال الجماهيري)، كما تريد أن تتصدى للإشارة اللغوية (بإعفاء نفسها من المعنى، وبالجنون)، كما تريد أن تتصدى للجنس القويم (بالشدوذ الذي يختلس المتعة من هدف الانتاج). ومع ذلك، فلا شيء يمكن عمله: فالتبادل يسترجع كل شيء، ويروض ما يبدو أنه ينفيه: إنه يحجز على النص، ويضعه في دورة الإنفاق غير النافع، ولكنه قانوني: فإذا بالنص ينضم مجدداً إلى الاقتصاد الجماعي (وإن كان نفسياً) فقط: وهكذا يكون ليس نفع النص نفسه هو النافع في سند التبادل. ويقول آخر، إن المجتمع ليعيش حالة من الانشطار: هنا نص رفيع المستوى، منزه، وهناك شيء

تجاري، تكمن قيمته في مجانية هذا الشيء. ولكن المجتمع ليس لديه أي فكرة عنه: وإنه ليجهل فسادَه بالذات: « ولكل واحد من الطرفين المتخاصمين حصته: فالغريزة الجنسية تستحق الإشباع، وإن الواقع لينال الاحترام الذي يستحقه. ولكن فرويد يضيف: ليس ثمة أمر مجاني سوى الموت، كما يعرف الجميع ذلك ». وأما بالنسبة إلى النص، فلن يكون ثمة شيء مجاني سوى هدمه بالذات: يجب على المرء ألا يكتب إلا ليكون مُسترجعاً.

ربما يجب عليّ أن أكون مع من أحب. وأن أفكر في أمر آخر. بل وربما يجب عليّ أن أبتدع أفضل ما هو ضروري لعملي. وهذا هو حال النص أيضاً إنه سينتج في أفضل لذة، وإذا ما استطاع أن يجعلني أصغي بشكل غير مباشر، وكذلك إذا ما استطاع أن يسوقني لكي أرفع رأسي مراراً، وايضاً إذا ما استطاع أن يشدني لسماح شيء آخر. فأنا لست أسيراً لنص اللذة بالضرورة. فقد يكون فعله خفيفاً، ومعقداً، ومحكم التدبير، ومذهولاً تقريباً: إنه قد يكون حركة من الرأس مباغتة، مثل حركة عصفور، لا يسمع شيئاً مما نسمع، وهو يصغي لما لا نسمع.

لماذا يكون الانفعال غير ملائم للمتعة (لقد كنت أراه كلياً في الجانب الوجداني، والوهم الأخلاقي) ؟ فهو اضطراب، ووهم تخم من تخوم الاضمحلال: إنه شيء فاسد تكتنفه واجهات جيدة التفكير. ولعله يكون الضياع الأكثر اعوجاجاً. فهو يناقض القاعدة العامة. تلك القاعدة التي تريد أن تعطي للمتعة صورة ثابتة: قوية، وعنيفة، وفضلة: وتريد أن تحيلها على شيء عضلي، ووترى وقضيبي، وهي ما دامت ضد القاعدة العامة، فيجب الا نترك لأنفسنا سبيلاً توهمها فيه صورة المتعة. ويجب، كذلك، أن نقبل بالتعرف إليها في كل مكان ينبثق فيه اضطراب في الانتظام الغرامي (كالمتعة قبل نضجها، أو بعد فوات أوانها، أو المنفغلة...): أيكون الحب الانفعالي متعة ؟ أم تراه يكون حكمة (أي حيناً تفهم المتعة نفسها بعيداً عن أحكامها الذاتية المسبقة)؟

عبثاً نحاول: فالملل ليس بسيطاً. وإنه ليس بإمكان أحد (أمام عمل، أو أمام نص) أن يتخلص من الملل بحركة تدل على كدره، أو على الانتهاء منه. وكما أن لذة النص تفترض انتاجاً كاملاً غير مباشر، فإن الملل كذلك لا

يستطيع أن يستفيد من أي عفوية: إذ ليس ثمة ملل صادق: وإذا كان النص — الثغثة بيعث الملل قى، فذلك لأني، في الواقع، لا أحب الطلب. ولكن ماذا لو أنني كنت أحبه (وإذا كانت لدي شهية أمومية)؟ ليس الملل عن المتعة ببعيد: إنه المتعة مرئية من ضفاف اللذة.

إنه كلما كانت الحكاية مروية بشكل أكثر لياقة، ومحكية جيداً، من غير خبث، وبلهجة محلاة، فإنه سيسهل قلبها، وتسويدها، وقراءتها بالمقلوب (كما فعل ساد حين قرأ السيدة دي ساغ). وبما أن هذا القلب إنتاج مجرد، فإنه ينمي لذة النص بشكل رائع.

قرأت في بوفار وبيكوشي جملة تسرني: « ثمة أغطية، وشراشف، ومناشف معلقة عمودياً، ومربوطة بخبال تشدها أوتاد خشبية ». إني لأذوق هنا دقة مبالغاً فيها، ونوعاً من

الإحكام اللغوي الموهوس ، وجنوناً من الوصف (الأمر الذي نجده في نصوص آلان روب غرييه) . وإنا لنشاهد هذا التباين . فاللغة الأدبية مهتزة ، ومتجاوزة ، ومجهولة ، لأنها تقوم نفسها باللغة « الصافية » ، باللغة الأساس ، بلغة القواعديين (إن هذه اللغة ، كما هو معلوم ، ليست سوى فكرة) . إن الإحكام المقصود هنا لا ينتج من زيادة العناية . ذلك لأنه لا يمثل فضل القيمة بلاغياً — تماماً كما لو أن الأشياء تنتقل بوصفها من أحسن إلى أحسن — ولكنه الإحكام الذي ينتج من تغيير في القانون : إن النموذج (البعيد) للوصف لم يعد الخطاب الخطبة (فنحن لا « نرسم » أي شيء) ، ولكنه نوع من الصفة المعجمية .

النص ، في أصله ، حرز . وإن هذا الحرز ليرغبني . والنص يختارني ، أدواته في ذلك ترتيب كامل لشاشات خفية ، وتدير منظم لمآحكات انتقائية : فثمة المفردات ، والمراجع ، وقابلية المقروء للقراءة ، إلى آخره . ويوجد الآخر دائماً ، إنه المؤلف . وإنه ليوجد ضائعاً في وسط النص (وليس خلفه كما تكون آلهة الآليات) .

لقد مات المؤلف بوصفه مؤسسة : واختفى شخصه المدني ، والاتفعالي ، والمكون للسيرة . كما أن ملكيته قد انتهت . ولذا ، فإنه لم يعد في مقدوره أن يمارس على عمله تلك الأبوة الرائعة التي أخذها على عاتقه كل من التاريخ الأدبي ، والتعليم ، والرأي العام ليقيموا قصتها ويجددوها : ولكنني في النص لأرغب في المؤلف ، بأي شكل من الأشكال : فأنا محتاج إلى صورته (وهذه الصورة ليست تمثيلاً له ، ولا اسقاطاً عليه) ، مثلما هو محتاج إلى صورتي (وإلا فإنه « يثغثغ ») .

إن الأنظمة الإيديولوجية خيال (إنها أشباح مسرحية ، كما كان يمكن لبيكون أن يقول) ، وإنما لروايات ، ولكنها روايات كلاسيكية مزودة بعقد ، وأزمات ، وشخصيات طيبة وخبيثة . (غير أن الجانب الروائي يختلف عن ذلك : إنه تقطيع لا بنية فيه ، وبعثرة للأشكال : إنه المايا*) .

* المايا : في فلسفة شوبنهاور مجموع الأوهام التي تخفي عنا قدرنا (م . عن المنهل) .

ويحاول كل خيال تدعّمه لغة اجتماعية ، وفتحة اجتماعية أن ينطبق عليها : الخيال ، هو هذه الدرجة من الكثافة التي يصبح لغة فيها ، وذلك عندما يكون قد أخذ ، بصورة استثنائية ، ووجد فيما أخذ ، طبقة كهنوتية (قسيسين ، ومثقفين ، وفنانين) تتكلم هذه اللغة اعتيادياً وتنشرها .

« فوق كل شعب من الشعوب ، ثمة سماء من المفاهيم موزعة توزيعاً رياضياً . وإنه ليدرك بضغط من الحقيقة ، من الآن فصاعداً ، أن أي إله مفهومي ، يجب ألا يكون البحث عنه في أي مكان خارج فلكه » (نيتشه) : نحن جميعاً أسرى حقيقة اللغات ، وهذا يعني أننا واقعون في تعدد اقليميتها ، ومدفوعون إلى التنافس الرائع الذي ينظم مجاوراتها . وذلك لأن كل لهجة إنما تقاوم لتحظى بالسيطرة . فإذا ما انتهت إليها السلطة ، انتشرت في كل

مجاري الحياة الاجتماعية وأمورها اليومية ، لتصبح بذلك سائدة وطبيعية : إنها اللهجة غير السياسية ، كما هو الزعم ،

لرجال السياسة ، ووكلاء الدولة ، وإنها أيضاً لغة الصحف ، والإذاعة ، والرأي ، والمحادثة . ولكن حتى خارج السلطة ، وضدها ، فإن المنافسة تلد مجدداً ، وإذ ذاك تنقسم اللهجات ، وتتصارع فيما بينها . وثمة مكان لا يرحم ينظم حياة اللسان ، ذلك لأن اللسان يأتي من مكان ما . إنه المكان المحارب .

إن عالمَ اللسان (الفلك اللغوي) لي طرح نفسه
وكأنه صراع كبير ومستمر بين ذهنيات هذيانية . وإن
الأنظمة وحدها هي التي تبقى (الأحيلة ، واللهجات) .
وإنها لتبقى ابداعية بما فيه الكفاية لكي تنتج آخر صورة ،
أي تلك التي تسم الخضم بلفظ نصف علمي ، ونصف
أخلاقي ، وكأنها نوع من أنواع الباب الدوار الذي يسمح
بمشاهدة العدو ، وتفسيره ، وادانته ، وتقيعه ، واسترجاعه
في الوقت نفسه . وبكلمة واحدة : إنه يجعل العدو يدفع
الثمن .

وهكذا ، فإنه من بين جملة أمور أخرى ، نجد ترجمة
الكتب المقدسة : فهناك لهجة ماركسية وإن أي معارضة ،
بالنسبة إليها ، إنما هي معارضة طبقية . وثمة لهجة أخرى
خاصة بالتحليل النفسي وإن أي انكار ، بالنسبة إليها ، إنما
هو اعتراف . وهناك لهجة مسيحية . وإن أي رفض ،
بالنسبة إليها ، إنما هو انحراف ، إلى آخره . ولقد يكون
الاندهاش من أن لغة السلطة الرأسمالية لم تحتو ، للوهلة
الأولى ، على مثل هذه الصورة لنظام (اللهم ما عدا نوعاً
من أبشع الأنواع ، يقال فيه عن المعارضين « المسممين »
و« الموجهين آلياً » . ولقد يُفهم حينئذٍ أن ضغط اللغة
الرأسمالية (وهو ضغط قوي) ليس من النوع الهذيانى ، ولا
النظامى ، ولا البرهاني ، ولا المترابط : إنه تزفيت شرس ،
إنه السائد ، إنه طريقة من طرق اللاشعور : إنه ، بإيجاز ،

الإيديولوجيا في جوهرها .

ولكي تتوقف هذه الأنظمة الناطقة عن الإذغال والإزعاج ، فلا سبيل سوى سكنى واحد منها . وإلا يكن ذلك ، فإن السؤال سيكون : وأنا ، وأنا ، ما أنا فاعل بكل هذا ؟

النص لا مكاني . فإن لم يكن ذلك في استهلاكه ، فلا أقل من أن يكون في إنتاجه . إنه ليس لهجة ، ولا خيالاً . فالنظام فائض فيه ومنحل (وإن لهذا الفيض ولهذا الانحلال إيدلوجياً Significance) . وإنه لينهل من هذا اللامكان حالة غريبة ويوصلها إلى قارئه : فهو مُبَعَّدٌ وساكن في الوقت نفسه . ولذا كانت ، في حرب اللغات ، لحظات

هادئة . وإن هذه اللحظات هي النصوص (تقول إحدى شخصيات بريخت : الحرب لا تنفي السلام . ذلك أن للحرب لحظات هادئة ... ويمكن للمرء أن يترع كأساً من البيرة بين مناوشتين) .

وهكذا ، فإن لذة النص ممكنة دائماً بين هجوميين كلاميين ، وبين نظاميين . ولن تكون اللذة استراحة ، ولكنها ستكون ممراً غير لائق — مفككاً — للغة أخرى . كما ستكون تمريناً لعلم مختلف لوظائف الأعضاء .

لا تزال بطولات كثيرة زائدة في لغاتنا . وثمة اثاره ، في أحسن اللغات — وإني لأفكر بلغة باتاي — لبعض العبارات . كما أن هناك نوعاً من البطولة الماكرة . وأما لذة النص (ومتعة النص) ، فهي على العكس من ذلك . إنها احماء مفاجيء لقيمة الحرب ، وتقليم عابر لأظافر الكاتب ، ووقفه « للقلب » (للشجاعة) .

كيف يمكن لنص مكون من اللغة أن يكون خارج اللغة ؟ . وكيف السبيل إلى اخراج (أن نضع خارجاً) لهجات العالم من غير أن نلجأ إلى لهجة أخيرة ، تكون فيها كل اللهجات الأخرى مروية ، أو محكية ؟ . إنني منذ اللحظة التي أسمى فيها ، أجعل لنفسي اسماً : أي أصبح صيداً في شرك تنافس الأسماء . فكيف يمكن للنص أن « ينجو بنفسه » من حرب التحليل ، ومن اللهجات الاجتماعية ؟ يكون ذلك بإضعاف يقوم به عمل تدريجي . يقضي النص ، بادئ ذي بدء ، على كل لغة واصفة . وبهذا ، يكون نصاً : فليس ثمة صوت (علم ، أو سبب ، أو مؤسسة) يقوم خلف ما يقول . ثم إن النص بعد ذلك ، ليهدم هدماً كاملاً ، يبلغ حد التناقض ، ففته الاستدلالية الخاصة ، ومرجعه اللساني الاجتماعي (جنسه) : فيكون « المهرج الذي لا يضحك » ، والسخرية التي لا تنقاد ، والبهجة من غير روح ولا صوفي (ساردي) . وإنه ليكون قولاً متمثلاً به من غير قوسين يحفانه . ويمكن للنص أخيراً ، إذا رغب في ذلك ، أن يشن غارة على البني المقدسة للغة نفسها (الصناعية البحتة) : سواءً أكان ذلك معجماً (وهو عبارة عن كلمات مستحدثة بكثرة ، وألفاظ منضدة ، ومفردات مستنسخة ، كتبت حروفها بحروف لغة أخرى) ، أم كان نحواً (لم تعد هناك خلية منطقية ، ولا جملة) .

إن المقصود بالإحالة (وليس بالتحويل فقط) ، هو إظهار حالة من الكيمياء الخيالية * pierre philosophale للمادة اللغوية . وإن هذه الحالة الخارقة ، وهذا المعدن المتوهج ، خارج كل أصل وخارج أي إيصال ، هو شيء من اللسان ، وليس لساناً من الألسنة ، وإن كان مفصلاً ، ومحاكياً ، ومتخذاً هزواً .

إن التفاضل في لذة النص ، لا يقوم على أساس أيديولوجي : ومع ذلك ، فإن هذه السفاهة لا تتم عن أصل ليبرالي ، ولكنها تتم عن انحراف : فالنص وقراءته شيئان منفصلان . وما هو فائض ومكسور ، إنما هو الوحدة الأخلاقية التي يلح المجتمع على وجودها في كل إنتاج إنساني . ولقد نقرأ نصاً من نصوص (اللذة) كما الذبابة حين تطير في حجم الغرفة : إنها إذ تطير ، تضرب بكوعها

* — Pierre Philosophale = حجر الفلاسفة : (حجر كيميائي خيالي اعتقد أصحاب الكيمياء القديمة أنه قادر على تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب وفضة أو إلى إطالة الحياة) . (م — المنهل) .

ضربات فظة ، ومحددة خطأ . فتبدو منشغلة من غير جدوى : والإيديولوجيا كذلك ، إنها تعبر فوق النص وقراءته كالوجه إذ يكسوه التورد (وإن بعضهم ليتذوق هذه الحمرة في الحب ، تذوقاً شهوانياً) . ألا وإن لكل كاتب لذة توردات غبية (بالزك ، زولا ، فلوير ، بروست : وربما لا نجد أحداً حافظاً لماء وجهه سوى مالارميه) : فالقوى المتضادة ، في نص اللذة ، ليست في حالة كبت ، ولكنها في حالة صيرورة : إذ لا شيء يعد بالفعل خصماً ، لأن كل شيء متعدد . وإني لأعبر الليل الرجعي خفيفاً . فإذا تأملنا ، مثلاً ، رواية زولا « خصوبة » فسنجد أن الإيديولوجيا ظاهرة جهاراً ، ولزجة بشكل خاص : إنها ذات صيغة طبيعية ، وعائلية ، واستعمارية . ولكن هذا لا يمنع أن أتابع قراءتي للكتاب . أهذا اعوجاج تافه ؟ . لعلنا نجد مخيفاً تلك القدرة المحكمة التي تنقسم الذات فيها فتقسم قراءتها ، وتقاوم عدوى الحكم ، وتناهض كناية القناعة : أليكون هذا لأن اللذة تجعل المرء موضوعياً ؟ .

إن بعضهم يريد نصاً (فناً، لوحة) من غير ظل،

ومقطوعاً عن « الإيديولوجيا المهيمنة ». ولكن هذا يدل على أنهم يريدون نصاً لا خصوبة فيه، ولا انتاجية له. إنهم يريدون نصاً عقماً (انظروا أسطورة المرأة من غير ظل). ألا إن النص لمحتاج إلى ظله: هذا الظل هو قليل من الإيديولوجيا، وقليل من العرض، وقليل من الذات: وهذه أشباح، وأورام، وآثار. إنها سحاب ضروري: ولا مندوحة للهدم من أن ينتج تضاده الخاص: مضيء / مظلم.

(نقول عادة: « الأيديولوجيا المهيمنة ». وهذه عبارة غير محددة. ذلك لأننا نتساءل فنقول: ما هي الإيديولوجيا؟. وسنجد الجواب إنها الفكرة المهيمنة من حيث هي فكرة: وإن الإيديولوجيا لا تستطيع أن تكون مهيمنة. وإذا كان صواباً أن نتكلم عن « إيديولوجيا طبقة مهيمنة »، فلأن ثمة طبقة تمت المهيمنة عليها موجودة، فسيكون أيضاً بعيداً عن المنطق أن نتكلم على « إيديولوجيا مهيمنة »، لأنه لا توجد إيديولوجيا مهيمن عليها: وإذا نظرنا إلى « المهيمن عليهم »، فسنجد أن لا شيء لديهم، ولا حتى أي إيديولوجيا. ولو كان الأمر خلاف ذلك تحديداً، لوجدنا — وهذه هي الدرجة النهائية للاستلاب — أنهم مضطرون أن يستعيروا إيديولوجيا (لكي يدعوا رموزهم، وإذن لكي يعيشوا) الطبقة التي تهيمن عليهم. غير أن الصراع الاجتماعي لا يمكن أن يرد إلى صراع بين إيديولوجيتين متنافستين: فهذا هدم لكل إيديولوجيا تطرح

على بساط المناقشة).

يجب رصد عوالم التخيل اللغوي جيداً، بمعنى أنه يجب أن نرصد: الكلمة بوصفها وحدة فريدة، وجوهرأ فردأ سحريأ. وأن نرصد الكلام بوصفه أداة للفكر أو تعبيرأ عنه. ويجب كذلك أن نرصد الكتابة بوصفها نسخأ للكلام، والجملة بوصفها قياسأ منطقيأ مغلقأ. كما يجب أن نرصد قصور اللسان أو رفضه بوصفه قوة أولية، عفوية، وتداولية. وكل هذه الأشياء المصطنعة إنما أخذها عالم التخيل العلمي على عاتقه (العلم بوصفه متخيلاً): إن اللسانيات لتعبر جيدأ عن حقيقة اللسان، ولكنها تقول هذا فقط: « يجب ألا يكون أي وهم واع قد ارتكب »: وإذا كان ذلك كذلك، فإن هذا هو تعريف التخيل نفسه: لا شعور اللاشعور.

لقد أصبحت المهمة الأولى في علم اللغة أن يعاد فيه إنشاء ما لا يُعزى إليه إلا عرضاً، أو احتقاراً، أو ما يُرفض أن يأتي منه غالباً: مثل علم الاشارة (الأسلوبية، والبلاغة، كما يقول نيتشه)، والممارسة، والفعل الأخلاقي، و« الحماسة »

(يقول نيتشه هذا أيضاً). وإنما المهمة الثانية أن نضع في العلم مرة أخرى ما يتعارض معه: هنا يكون النص. فالنص هو اللسان من غير تخييل. وهذا هو ما ينقص علم اللغة لكي تكون أهميته العامة ظاهرة (وليس خاصيته التقنية). إن كل ما صار لتوه مسموحاً به في اللسانيات، أو مرفوضاً رفضاً باتاً (بوصفها علماً مقنناً، ووضعيّاً)، كالإدراك والمتعة، إنما يكون هنا تحديداً هو الأمر الذي يبعد النص عن تخيلات اللسان.

لا يمكن لأي « أطروحة » عن لذة النص أن تكون ممكنة. إذ كل ما يدور حول هذا الأمر لا يتعدى كونه تفتيشاً (استبطاناً)، وهو يدوم طويلاً. فيالها من غبطة نقية! ومع ذلك، فيإني، في مقابل كل شيء وضد كل شيء، لأستمع بالنص.

ألا توجد أمثلة على الأقل؟ يمكننا أن نفكر في حصاد دلالي هائل: سنجمع فيه كل النصوص التي حصل أن أحدثت لذة لشخص ما (بغض النظر عن مصدر هذه النصوص). وسنُظهر هذا الجسد التصي (إنه المدونة: وهذا تعبير جيد). فهو يشبه قليلاً التحليل النفسي حين يعرض الجسد الشهواني للإنسان. ومع ذلك، فإننا نستطيع أن نخشى

عملاً كهذا. ذلك أنه قد لا ينتهي إلا إلى تفسير النصوص التي تم جمعها. وحينئذ سيصاب المشروع بتفريع لا مفر منه: فاللذة إذ لا تستطيع أن تعبر عن نفسها، ستدخل في الطريق العام للحوافز التي لن يكون أي واحد منها حافزاً نهائياً (وإذا تعلقت هنا ببعض لذات النص، فهذا لأني أمر عرضاً، وليس بشكل منتظم)، وأقول بكلمة واحدة إن عملاً كهذا لا يستطيع أن يكتب. وأنا لا أستطيع إلا أن أدور حول مثل هذا الموضوع. وإن تنفيذه تنفيذاً موجزاً، وفي عزلة، سيكون حينئذ أفضل من تنفيذه تنفيذاً جماعياً وإلى ما لا نهاية. وكذلك، فإنه من الأفضل أن نتخلى عن المرور من القيمة، التي هي أساس التأكيد، إلى القيم التي هي آثار ثقافية.

إن الكاتب بوصفه مخلوقاً لسانياً، ليؤخذ في حرب الخيال (اللهجات). ولكنه لن يكون فيها سوى لعبة. ذلك لأن اللسان الذي يكونه (الكتابة) هو دائماً خارج المكان (أي لا مكان). فبالأثر البسيط لتعدد المعاني (مرحلة بدائية للكتابة)، يكون الالتزام الحزبي لكلام أدبي قد أصبح موضع شك من أصله. أما الكاتب، فيجري دائماً على أعقاب

المهمة العمياء للنظم، وإنه لفي انحراف. فهو جوكر، ومانا*
 ودرجة الصفر، وهو موت البريدج** : إنه ضروري للمعنى
 (للمعركة)، ولكنه محروم هو نفسه من معنى ثابت. وإن
 مكانه، وقيمته (التبادلية) لتتغير تبعاً لحركات التاريخ،
 وضربات النضال التكتيكية: فقد يُطلب منه كل شيء / أو
 لا يُطلب منه أي شيء: شأنه في ذلك شأن الميشوتوكي في
 ديانة الزن. إنه ليس لديه رغبة في أخذ شيء، اللهم ما عدا
 المتعة المنحرفة للكلمات (ولكن المتعة لم تكن قط مغناً: إذ
 لا شيء يفصلها عن الأب، ولا عن الخسارة). والمفارقة
 هي: أن مجانية الكتابة هذه (التي تقارب، بالمتعة، مجانية
 الموت)، يجعلها الكاتب صمتاً: إنه ينكمش، ويتعضّل،
 وينكر الانحراف، ويكبح المتعة: إنهم ثلثة، أولئك الذين
 يناهضون القمع الأيديولوجي، والقمع الشبقي في الوقت
 نفسه (إنه، بالطبع ذلك القمع الذي يحمل المثقف وزنه على
 كاهله: أي لغته الخاصة).

* — Mana (مانا) : قوى الطبيعة (في الأديان البدائية . قوة خفية هي في رأي
 علماء الاجتماع أصل فكرة السبب (م . المنهل) .
 ** — Bridge (بريدج) : لعبة ورق .

وأنا أقرأ نصاً ذكره ستندال (ولكنه ليس له) (*)،
وجدت بروست متمثلاً في جزيرة صغيرة: لقد كان مطران
ليسكار يشير إلى ابنة أخي نائبه الأسقفي بسلسلة من
اللفتات النفسية (يا ابنة أخي الصغيرة، يا صديقتي
الصغيرة، يا سمرائي الجميلة، آه أيتها الحلوى الصغيرة!) التي
تحيي في ذكري قول توجهت به اثنتان من سعاة البريد في
فندق بعلمك الكبير إلى الراوي وهنّ ماري جينيت،
وسيليست ألباري: (أوه! أيها الشيطان الصغير، إن شعرك
كريش طائر أبو زريق، أوه، أي دهاء عميق! آه للشباب! آه
للبشرة الجميلة!).

ولقد قرأت في مكان آخر، ولكن بالطريقة نفسها:
أشجار التفاح النورماندية المزهرة عند فلويير، وذلك انطلاقاً
من قراءتي لبروست. وإني لأتذوق سلطان الصياغات،
وانقلاب الأصول، والمرح الذي يأتي بنص سابق من نص
لاحق. وإني لأفهم أن مؤلفات بروست الأدبية، إنما هي
مؤلفات مرجعية، هذا على الأقل بالنسبة إليّ. كما أفهم أيضاً
أنها نسق انتاجي عام، ورسم تأملي لنشأة الكون الأدبي كله.
وهكذا كانت رسائل مدام دي سيفينيّه بالنسبة إلى جدة
الراوي. وهكذا أيضاً كانت روايات الفروسية بالنسبة إلى

* — « مشهد من حياة أتاناز أوجير . نشرتها ابنة أخيه » في « مذكرات
سائح » (1). ص ٢٢٨ — ٢٤٥ . ستندال الأعمال الكاملة . منشورات
كلان ليفي (١٨٩١) .

دون كيشوت، إلى آخره. وإن هذا الأمر لا يعني بتاتا أني
مختص بـبروست: فبروست هو من يأتي، وليس هو من
أناديه. إنه ليس سلطة، ولكنه مجرد ذكرى مستديرة. وهذه
هي خاصة النص المتداخل: إنها استحالة العيش خارج
النص اللامتناهي. ولا فرق في ذلك: أن يكون هذا النص
هو بـبروست، أو الجريدة اليومية، أو شاشة الرأي: فالكتاب
يبدع المعنى، والمعنى يبدع الحياة.

إذا طرقتم مسامراً فأدخلتموه في الخشب، فإن مقاومة
الخشب ستختلف بحسب المكان الذي أدخلتموه فيه:
ويقال في هذه الحالة ليس الخشب متشاكلاً، والنص أيضاً،
ليس متشاكلاً: فالجوانب، والشق،، أشياء غير مرئية فيه.
ويجب على الفيزياء (الحالية) أن تقوم نفسها لكي تتناسب
مع سمة اللامشاكلة لبعض الأوساط، ولبعض العوالم. كما
يجب أيضاً على التحليل البنيوي (السياسيولوجي) أن يعرف
أدق مقاومات النص، وأن يعرف الرسم غير المنتظم لعروقه.

ليس هناك موضوع واحد له علاقة ثابتة باللذة (انظر
لا كان فيما يخص ساد). ومع ذلك، فإن هذا الموضوع
موجود بالنسبة إلى الكاتب. إنه ليس اللسان، ولكنه اللغة،
أي اللغة الأم. فالكاتب شخص يلعب مع جسد أمه (أحيل
إلى بلينييه فيما كتبه عن لوتريامون وماتيس): وذلك لكي
يمجده ويزينه، أو لكي يقطعه ويحمله قطعاً يمكن التعرف
عليها بوصفها قطعاً من الجسد: وإني لأذهب إلى حد المتعة
بتشويه اللغة. وسيطلق الرأي العام صرخات عالية، لأنه
لا يريد أن « تشوّه الطبيعة ».

لعلنا نقول إن الكتاب، بالنسبة إلى باشلار، لم
يكتبوا قط شيئاً: فثمة قطيعة غريبة، بها كانت قراءتهم فقط.
وهو حين رأى هذا الرأي، فقط أسس نقداً للقراءة خالصاً،
وجعله في اللذة مؤسساً: وأما نحن، فنزبط بممارسة
متجانسة (زَلِقَة، مرحة، لذيذة، متوحدة، متلهلة). وإن
هذه الممارسة لتغمرنا رضى: إنها قرأ — حلم. وهكذا مع
باشلار، نجد أن الشعر (وكأنه حق مجرد لإبطال الأدب،
والغاء المعركة) يدخل جميعه في حساب اللذة. ولكن ما إن
يصبح العمل مُدْرَكاً في أنواع من الكتابة حتى يعلو صرير

اللذة، وتسجل الشهوة حضورها، ويتعدد باشلار.

إنني أهتم باللسان، لأنه يجرحني أو يسحرني. ولعل
شبقاً طبقياً يكمن في هذا. ولكن إلى أي طبقة ينتمي؟. إلى
الطبقة البرجوازية؟ ليس لهذه الطبقة أي تذوق لساني. وهو
لم يعد يشكل في نظرها ترفاً، أو عنصراً من عناصر فن
العيش (موت الأدب « العظيم »)، ولكنه غدا أداة فقط، أو
زينة (تحدلقاً). أترأه ينتمي إلى الطبقة الشعبية؟ إننا لنجد هنا
غيبية لكل نشاط سحري أو شعري: لم يعد ثمة كرنفال، ولم
يعد أحد يلعب بالكلمات. فلقد ماتت الاستعارات،
وسادت القوالب الجاهزة التي تفرضها ثقافة البرجوازية
الصغيرة. (ليس للطبقة المنتجة بالضرورة لسان تضع فيه
ما تمثله من دور، أو قوة، أو فضيلة. ونستنتج من هذا أن ثمة
تفككاً في التضامن، وتفككاً في معرفة الغير. وإنه لقوي
جداً هنا، ومعدوم هناك. وهذا نقد للوهم الشمولي: ذلك أن
أي جهاز، إنما يسعى أولاً إلى توحيد اللسان، ولكن لا يجب
احترام الكل).

بقيت جزيرة صغيرة: إنها النص. أتكون فيها
للمصطفين والمثقفين دار نعيم. ربما تكون اللذة، أما المتعة
فلا.

أنا متأكد أنه لا يمكن لأي إيدلال (Signifiante) (أي متعة) أن يُنتج في ثقافة جماهيرية (إذ يجب أن نُميّز هذا الإيدلال من الثقافة الجماهيرية كما يتمايز الماء من النار). والسبب في ذلك، أن نموذج هذه الثقافة هو البرجوازية الصغيرة. وإن ما يكون تناقضنا الخاص (التاريخي)، هو أن الإيدلال (المتعة) قد دخل كله في ملجأ من الخيار المفرط: فإما أن يكون ضمن ممارسة لنخبة المثقفين (وهي وليدة خور الثقافة البرجوازية)، وإما أن يكون ضمن فكرة طوباوية (وستكون هذه الفكرة فكرة لثقافة قادمة، تنبثق من الثورة الجذرية، لم يسمع بها أحد، غير مرئية، لا يعرف عنها من يكتب اليوم سوى شيء واحد: إنه لن يدخلها كما دخلها موسى).

ثمة سمة غير اجتماعية للمتعة. إنها الضياع للحالة الاجتماعية. ومع ذلك، فلن يستتبع هذا أي ارتكاس نحو الذات (الذاتية)، ونحو الشخص، ونحو العزلة: إذ كل شيء يضيع بأكمله. إن هذا هو قاع السرية الأعمق. إنه ظلمة السينما.

تتفق كل التحليلات الاجتماعية الإيديولوجية على
السمة الوصفية للأدب (وهذا ما يخفف قليلاً من ملاءمتها):
وستكتب العمل في النهاية دائماً، مجموعة اجتماعية خائبة أو
عاجزة، كانت قد وضعتها خارج المعركة ظروف تاريخية،
واققتصادية، وسياسية. وسيكون الأدب هو التعبير عن هذه
الخيبة.

تنسى هذه التحليلات (وهذا طبيعي، لأنها تفسيرات
مؤسسية حصراً على البحث عن المعنى) قفا الكتابة الرائع:
المتعة: إنها متعة تستطيع أن تنفجر عبر القرون، خارج بعض
النصوص المكتوبة، تمجيداً للفلسفة الأكثر كآبة وشؤماً.

إن اللسان الذي أتكلم به في نفسي لا ينتمي إلى
زمني: إنه، بطبيعته، اصطدام مع الشك الإيديولوجي.
ويجب عليّ، إذن، أن أناضل معه. وإنني إذ أكتب، فلأني
لا أريد ما أجد من الكلمات: إنني أكتب اختلاصاً.
ويكون هذا اللسان قبل الأخير هو لسان لذتي في الوقت
نفسه! إنني أقرأ زولا على طول الأمسيات. كما أقرأ

برؤست، وفيرن، ومونت — كريستو، ومذكرات سائح.
وإني لأقرأ ، في بعض المرات ، جوليان غرين . إن هذه هي
لذتي ، ولكنها ليست متعتي : فحظ هذه لا يأتي إلا مع
الجديد المطلق . ذلك لأن الجديد وحده هو الذي يهز
الوعي (يلغيه) . (هل هو سهل ؟ أبداً : إن الجديد لا
يكون في تسع حالات من عشر سوى قالب مكرر عن
الجددة) .

ليس الجديد دُرْجَة . إنه قيمة ، وأساس لكل نقد :
فتقييمنا للعالم لم يعد ينصب مباشرة على الأقل ، كما هي
الحال عند نيتشه، على التعارض بين نبيل ووضيع، ولكن على
القديم والجديد (لقد بدأ شبق الجديد في القرن الثامن عشر:
وإنه لتحويل طويل، لا يزال يغذ السير).

لم تعد أمام المرء سوى طريقة واحدة لكي ينجو من
استلاب المجتمع الحاضر : إنها الهروب إلى الأمام . فكل
لسان قديم معرض للخطر ، وكل لسان ما إن يتكرر حتى
يصبح قديماً . وإذا كان هذا هكذا ، فإن اللسان المحبّر (أي

اللسان الذي ينتج نفسه وينتشر تحت حماية السلطة) إنما هو لسان مكرر دستورياً . وعلى هذا ، فإن كل مؤسسات اللسان الرسمية ، إنما هي آلات لتكرار القول مراراً : فالمدرسة ، والرياضة ، والدعاية ، والكتب الجماهيرية ، والأغنية ، والأخبار ، تعيد دائماً قول البنية نفسها ، والمعنى نفسه . كما تعيد غالباً قول الكلمات ذاتها : ذلك لأن القالب القولي المكرر إنما هو صنعة سياسية ، وهو الصورة العظمى للإيديولوجيا ، ويكون الجديد في مقابل هذا هو المتعة (يقول فرويد : « إن الجديد ليشكل عند البالغ دائماً شرط المتعة ») . وعن هذا ، ينتج المظهر الحالي للقوى : فمن جهة ، ثمة عملية تسطيح جماهيرية (وهي مرتبطة بالتكرار اللساني) — إنه يستطيع أن يقوم خارج المتعة ، ولكنه حتماً لا يستطيع أن يقوم خارج اللذة — وهناك ، من جهة أخرى ، احتداد (هامشي ، ومنحرف عن المركز) يتجه نحو الجديد — إنه احتداد مستهام ، يستطيع أن يذهب إلى حد تحطيم الخطاب : إنه محاولة تاريخية لبعث المتعة المكبوتة تحت ركام قوالب الأقوال المكررة .

لا يقوم التعارض (وهو سكين القيمة) بالضرورة بين متضادات مخصصة لهذا ، ومساءة من أجل ذلك (مثل المادية والمثالية ، الإصلاح والثورة ، إلى آخره) ولكنها تقوم دائماً ، وفي كل مكان ، بين الاستثناء والقاعدة . أما القاعدة ، فهي الافراط ،، وأما الاستثناء فهو المتعة .

ونضرب على ذلك مثلاً : إنه لمن الممكن في بعض الأوقات
دعم استثناء المتصوفة . دعم كل شيء ما عدا القاعدة
(العمومية ، قوالب الأقوال المكررة ، اللهجة : اللسان
القوم) .

ويمكننا ، مع ذلك ، أن ندعي عكس هذا (غير أني
لست الذي سيدعي هذا) : إن التكرار ، هو نفسه ، يولد
المتعة . وإن الأمثلة الإثنوغرافية* لزاخرة : فثمة ايقاعات
استحواذية ، موسيقى سحرية ، صلوات ، شعائر ،
ابتهالات بوذية ، إلى آخره : ويعني التكرار المفرط الدخول
في الضياع ، وفي الدرجة صفر من المعنى . ولكن إليكم
هذا : لكي يكون التكرار شبقياً ، يجب أن يكون شكلياً ،
وحرافياً . وإن هذا التكرار في ثقافتنا ، هذا التكرار البارز
(المفرط) ليصبح بعيداً عن المركز ، ومدفوعاً نحو مناطق
هامشية من الموسيقى . وإن الشكل غير الشرعي للثقافة
الجماهيرية ، إنما هو التكرار المشين : تكرار المضامين ،

* — الإثنوغرافية : علم يبحث في خصائص الشعوب (م) .

والترسيات الإيديولوجية ، ومحو التناقضات ، ولكن الأشكال السطحية تتغير : فثمة كتب على الدوام ، وبث اذاعي ، وأفلام جديدة ، وحوادث يومية . ولكنها ، جميعاً ، تحمل المعنى نفسه دائماً .

تستطيع الكلمة أن تكون شبقية بشرطين متعارضين ، على أن يكون كلاهما مفراطاً: إذا تكررت الكلمة تكراراً مبالغاً فيه ، أو على العكس من ذلك ، إذا كانت مبالغتة ، وغضبة بمجدها (ثمة كلمات تلمع في بعض النصوص ، وبها حضور مسلّ ، وغير لائق — وليس مهماً أن تكون مدعية للمعرفة . وهكذا ، فإني شخصياً لأتلذذ بجملة لاينتس: «... كما لو أن ساعات الجيب تسجل لها الأوقات كفاءة زمنية فيها من غير حاجة إلى عجالات ، أو كأنها الطواحين تطحن لها الحبوب خاصية طحنية فيها دون حاجة إلى شيء يشبه الرحى ») .

إننا لنجد مادة المتعة نفسها في الحالتين ، أي في الشلم ، والنقش ، والترخيم : أما ما هو محفور فمدكوك . وأما ما ينفجر فيفرقع .

إن القالب القولي ، هو الكلمة مكررة خارج كل سحر ، وكل حماسة ، كما لو أنها طبيعية ، أو كما لو أن هذه الكلمة تعود كل مرة ، بمعجزة ، لتكون ملائمة ، وذلك لأسباب مختلفة . وكأن التقليد يستطبع ألا يكون محسوساً وكأنه تقليد : ثمة كلمة تقال من غير تحفظ ، فتدعي الكشافة ، وتنسى إلحاحها الخاص . وقد أدلى نيتشه بهذه الملاحظة ، ورأى أن « الحقيقة » ليست شيئاً آخر غير تعزيز استعارات قديمة . حسناً ، إن القالب القولي ، في هذه الحالة ، هو طريق « الحقيقة » الحاضر ، وهو السمة الجلية التي تنقل الزينة المبتدعة إلى الشكل المقنن والملزم للمعنى . (وسيكون جيداً أن يتصور المرء عالماً جديداً للسانيات ، يدرس فيه ليس أصل الكلمات ، أو الاشتقاق ، ولا حتى انتشارها ، أو المفردة المعجمية ، ولكن تقدم تعزيزاتها ، وكشافتها على امتداد الخطاب التاريخي . إن هذا العلم سيكون من غير ريب عالماً هداماً ، لأنه سيُظهر ، بالإضافة إلى الأصل التاريخي للحقيقة ، طبيعتها البلاغية واللسانية .

إن الحذر فيما يخص الأقوال المقولبة (بوصفه مرتبطاً بمتعة الكلمة الجديدة أو بالخطاب غير الثابت) إنما هو مبدأ من مبادئ التغير المطلق . ذلك المبدأ الذي لا يحترم شيئاً (سواءً كان هذا على مستوى المضمون أم على مستوى الاختيار) . وإن الغثيان يُقبل لأن الوصل بين كلمتين مهمتين يجري بسهولة . ولكن ، ما إن يجري شيء بسهولة

حتى أهجره : وهذه هي المتعة . هل هذا انزعاج باطل ؟
إننا لنجد في قصة ادغار ألان بو ، أن السيد
فالدمار ، المحتضر مغناطيسياً ، يعيش كالخشب جفافاً
بسبب تكرار الأسئلة التي تلقى عليه (يا سيد فالدمار ، هل
أنت نائم ؟) . ولكن هذه الحياة غير مستقرة : إنها الموت
الكاذب ، الموت الشنيع . وهذا ليس نهاية ، لأنه الشيء
الذي لا ينتهي (من أجل حب الله ! — بسرعة ! —
بسرعة ! — أنيموني ، — أو بسرعة ! أيقظوني بسرعة ! —
أقول لكم إنني ميت !) . إن الأقوال المقلوبة ، هي هذه
الاستحالة الغثيانية للموت .

إن الاختيار السياسي ضمن الحقل الثقافي حيس
للسان — إنه متعة إذن . ومع ذلك ، فإن اللغة لتنتلق ثانية
في شكلها الأكثر قوة (في الأقوال المقلوبة سياسياً) . إن
هذا اللسان ، يجب ابتلاعه حينئذٍ من غير غثيان .
ثمّة متعة أخرى (في جوانب أخرى) : إنها تقضي
بعدم تسييس ما هو ميسّس في الظاهر . كما تقضي بتسييس

ما هو غير ميسس في الظاهر أيضاً . ولكن لا ، انظروا ، إننا نسييس ما يجب أن يكون ميسساً ، وهذا هو كل شيء .

العدمية هي : « تردي قيمة الأهداف العليا » .
وإنها لوقت غير مستقر ، ومهدد ، لأن ثمة قيماً عليا أخرى تنتصب مباشرة ، وقبل أن تتهدم الأولى ، لتأخذ مكانها . وأما النزعة الجدلية فلا تقوم إلا بربط إيجابيات متتابعة . والاختناق ينشأ عن هذا في قلب الفوضوية نفسها . فكيف يمكن إذن تنصيب عجز كل القيم العليا ؟ .
أبالسخرية ؟ . إنها تنطلق دائماً من مكان ثابت .
أبالعنف ؟ . إنه قيمة عليا ومن أكثر القيم تقنياً . أبالمتعة ؟ .
أجل ، إذا لم تكن قد قيلت ، وبشرط ألا تكون عقدية . إن العدمية ، الأكثر منطقية ، ربما تكون مقنعة : إنها تكون ، بطريقة ما ، مبطنة في المؤسسات ، والخطب المحافظة ، والأهداف الظاهرة .

لقد أسرَّ إليَّ (آ) بأنه قد لا يحتمل أن أمه كانت فاجرة ،
ولكنه قد يحتمل هذا من أبيه . وأضاف : إن هذا لشيء
عجاب ، أليس كذلك ؟ — وإنه ليكفيه اسم لكي تنقطع
دهشته : إنه الأوديب . إن (آ) لقريب من النص في
نظري ، لأن النص لا يعطي الأسماء — أو إنه يقصي الأسماء
الموجودة . فهو لا يقول (وإذا قال ، فمن خلف أي قصد
مريب ؟ : الماركسية ، البرختية ، الرأسمالية ، المثالية ، الرن ،
إلى آخره . فالاسم لا يأتي إلى الشفتين ، إنه مجزأ في
الممارسة ، وفي الكلمات التي هي ليست أسماء . والنص
حين يذهب إلى نهايات القول ، ضمن انتاجية لسانية لا
تريد أن تختلط مع العلم ، فإنه يفكك التسمية . وإن هذا
التفكيك ليقربه من المتعة .

وردت بعض الأطعمة مسماة في نص قديم ، انتهيت
توأ من قراءته (إنه مشهد من مشاهد حياة الكنيسة رواه
ستندال) : الحليب ، الفطائر ، جبنة بالقشدة الشانتي ،
مربيات البار ، برتقال مالطي ، فريز مع السكر ، أتكون هذه

لذة مجرد العرض (يحسّ بها فقط القارىء النهم) ؟. ولكني لا أحب الحليب ، ولا المأكولات المحلاة . ونادراً ما ألقى بنفسى في تفاصيل هذه المأكولات الخفيفة . فثمة شيء آخر يجري . وهو يرتبط ، من غير شك ، بمعنى آخر لكلمة « عرض » . فعندما يعرض شخص ، في مناقشة من المناقشات ، شيئاً ما على محدثه ، فإنه لا يقوم إلا بعرض الحالة الأخيرة للواقع ، أي لما هو مستعصٍ فيه على المعالجة . وكذلك الحال بالنسبة إلى الروائي . فهو حين يذكر الطعام ، ويسميه ، ويخبر عنه (أي يتعامل معه بوصفه شيئاً جديراً بالذكر) ، فإنه يفرض على القارىء الحالة الأخيرة للمادة ، أي ما لا يمكن تجاوزه فيها ، ولا رده (وهذا بكل تأكيد ليس هو حال الأسماء التي ذكرناها سابقاً : ماركسية ، مثالية ، إلى آخره) . هذا هو !. يجب ألا تسمع هذه الصرخة كما لو أنها إشراقة ذكاء ، ولكن كما لو أنها كانت الحد نفسه للتسمية والخيال . وبناء على ذلك ، قد يكون لدينا في النتيجة واقعيتان : الأولى ، تفكك « الواقع » (أي ذاك الذي يثبت نفسه ولكنه لا يرى) . والثانية ، تقول « الواقع » (أي ذاك الذي يرى ولكنه لا يثبت نفسه) . وإن الرواية التي تستطيع أن تخلط هاتين الواقعتين ، لتضيف إلى المدرك عقلاً من الواقع ذيلًا من الخيال غير واقعي : وإنه لما يشير الدهشة أن يأكل الناس في عام ١٧٩١ « سَلْطَةَ البرتقال مع عرق قصب السكر » ، كما هو

الحال اليوم في مطاعنا : هذا مدخل للمقول التاريخي ،
ولعناد الشيء (البرتقال ، عرق قصب السكر) في الوجود
هنا .

يبدو أن فرنسياً من اثنين لا يقرأ . وهذا يعني أن
نصف فرنسا محرومة — تحرم نفسها من لذة النص . وإنما لا
نأسف مطلقاً على هذه النكبة الوطنية إلا من وجهة نظر
انسانية . فالفرنسيون إذ يناون بجانبهم عن الكتاب ، إنما هم
يتخلون عن ثروة أخلاقية ، وقيمة نبيلة . ولعله من الأفضل
صنع هذا التاريخ المظلم ، والغبي ، والمأساوي لكل المملدات
التي تعترض عليها المجتمعات أو تتخلى عنها : ثمة لذة
ظلامية .

يبدو أنه حتى وإن وضعنا نص اللذة في حقل نظريته ،
وليس في حقله الاجتماعي (وهذا ما يؤدي إلى خطاب
خاص ، لا يحتوي في الظاهر على أي هدف قومي أو
اجتماعي) فثمة استلاب سياسي يكون هو السبب : إنه
يسقط حق اللذة (بالإضافة إلى اسقاط حق المتعة) في كل
مجتمع تستحوذ عليه أخلاقيتان : الأولى وهي الغالبية ،

وتمثل التسطيح . الثانية وهي مجموعة الأقلية ، وتأخذ بالدقة (سياسياً و / أو علمياً) . فكأن فكرة اللذة لم تعد تستهوي أحداً . وإن مجتمعنا ليبدو هادئاً وعنيفاً في آن واحد . وإنه ، على كل حال ، لمجتمع : عتین .

إن موت الأب يحرم الأدب كثيراً من لذائذه . وإذا لم يكن ثمة أب ، فما الحاجة إلى رواية القصص ؟ ألا تعود كل قصة إلى الأوديب ؟ ألا يعني الفعل روى أن يبحث المرء عن أصله ، وأن يخبر عن خلافاته مع القانون ، وأن يدخل في جدلية الحنان والحقد ؟ أما اليوم ، فلقد رمينا جانباً بدفعة واحدة الأوديب والقصة : إننا لم نعد نحب ، ولم نعد نكره ، ولم نعد نروي . ولقد كان الأوديب ، بوصفه خيالاً ، يؤدي خدمة لشيء على الأقل : كان يؤدي إلى كتابة روايات جيدة ، كما يؤدي إلى سرد جيد . (كتبت هذا بعد رؤية فيلم City Girl فتاة المدينة لمورنو) .

إن كثرة كثيرة من القراءات منحرفة . وهي تستلزم حدوث مفارقة . فالطفل إذ يعلم أن أمه لا قضيب لها ، فإنه يعتقد في الوقت نفسه أن لها واحداً (وقد أظهر فرويد مردودية هذا الاقتصاد) . وكذلك ، فإن القارئ يستطيع أن يقول دون توقف : إني لأعلم جيداً بأن هذه ليست سوى كلمات ، ولكن مع ذلك ... (إني لأنفعل تماماً كما لو أن هذه الكلمات كانت تقول الواقع) . وإن القارئ المأساوي هو القارئ الأكثر انحرافاً من بين كل القراء : فأنا أعلم جيداً أن أوديب سيسقط عنه قناعه ، وأن دانتون سيعدم بالمقصلة ، ولكن مع ذلك ...

بالنسبة إلى القصة المأساوية التي نجهل نهايتها ، ثمة مسح للذة ، وتقدم للمتعة (أما اليوم في الثقافة الجماهيرية ، فثمة استهلاك كبير « للمأساوي » ، وقليل من المتعة) .

ثمة قرب بين المتعة والخوف (فهل هو تطابق) . وإن ما ينفر من مثل هذا التقارب طبعاً ، ليس هو فكرة أن الخوف احساس مزعج — فهذه فكرة تافهة — ولكنه

احساس مشين بردائه. إنه المضروب عنه صفحاً في كل الفلسفات (إلا عند هوبز فيما أعتقد. إنه يقول: «لقد كان الخوف هو الهوى الوحيد في حياتي»). ولذا ، فإن الجنون لا يرغب فيه (ربما ، ما عدا الجنون الذي مضت دُرُجته : Le Horla) ، وإن هذا لينع الخوف من أن يكون حديثاً : هذا رفض للمخالفة . وإنه لمن الجنون ترككم في غمار الوعي ، فهناك قدر أخير ، تبقى به الذات التي تخاف ذاتاً . غير أنها تعد ، في أعظم حد ، من الحالات العصبية (ونتكلم حينئذٍ على السأم ، تلك الكلمة النبيلة ، الكلمة العلمية : ولكن الخوف ليس هو السأم) .

هذه هي الأسباب نفسها التي تقارب بين الخوف والمتعة : فالخوف هو السرية المطلقة ، وليس هو هذا لأنه « لا يباح به » (واليوم أيضاً ، لا يوجد شخص مستعد لكي يباح به) ، ولكن لأنه إذ يجزىء الذات ، ويتركها غير منقوصة ، فإتاً لا نجد في تصرفه سوى دوال مطابقة : فاللغة الهاذية مرفوضة بالنسبة إلى ذلك الذي يصغي إليها وهي تصعد فيه . « وإنني إذ أكتب ، فلكي لا أكون مجنوناً » . غير أن ما يريد باتاي قوله هو أن يكتب الجنون . ولكن من يستطيع أن يقول : « إنني أكتب لكي لا أخاف » ؟ . إن الخوف لا يطرد الكتابة ، ولا يرغمها ، ولا ينجزها : إنهما يتعايشان معاً منفصلين بفعل التناقضات الأكثر سكوناً .

(نقول هذا ، دون أن نتكلم على حالة يحدث فيها فعل الكتابة خوفاً) .

كنت ، في إحدى الأمسيات ، جالسا على كرسي في حانة من الحانات ، بين مستيقظ وناغم . حاولت لاعبا أن أعد كل اللغات التي تبلغ سمعي : موسيقى ، محادثات ، فرقة الكراسي ، والكؤوس ، وجملة من الأصوات العالية التي ربما يكون مكانها المثالي في ساحة من ساحات طنجة (فقد وصفها سيفيرو ساردي) .

ولقد يتحدث هذا في أيضاً (وهذا معروف جيداً) . وإن هذا الكلام المسمى « كلاماً داخلياً » يشبه كثيراً ضوضاء الساحة ، وإنه يشبه كذلك هذا التدرج في الأصوات الصغيرة التي تأتيني من الخارج : لقد كنت أنا نفسي مكاناً عاماً ، كنت سوقاً . وكانت الكلمات تمر عبري ، والتراكيب الصغيرة ، وأطراف الصيغ . فلم يكن لأي جملة أن تتشكل تماماً ، كما لو أن هذا الأمر كان هو قانون هذا اللسان . ولقد كان هذا الكلام الثقافي جداً ، والوحشي جداً في الوقت نفسه ، قاموسياً على وجه

الخصوص ، ومشتتاً . وكان يشكل في عبر تدفقه الظاهر ، انقطاعاً نهائياً : فهذه الالجملة لم تكن شيئاً لا يمتلك قدرة بلوغ الجملة . إنها ربما كانت قبل الجملة . وهكذا ، فإن اللسانيات جميعاً ، تسقط فرضياً . ذلك لأن اللسانيات لا تؤمن إلا بالجملة ، ولقد أسندت إلى النحو الاسنادي كرامة مفرطة دائماً (بوصفه شكلاً يقوم على المنطق ، والعقلانية) . ولعلي أذكر هذه الفضيحة العلمية : لا توجد أي قواعد خاصة بضمير المتكلم (قواعد بهذا الذي يتكلم ، وليس بهذا الذي يُكتب . ولكي يكون البدء : قواعد الفرنسية المتكلمة) . إننا متروكون للجملة (ومن ثم لتركيب الجملة) .

إن الجملة ترابية: وإنما لتستلزم أنواعاً من التبعية، والتعليق، والتعدية الداخلية. وهذا يكون تمامها: فكيف يمكن لنظام ترابي أن يبقى مفتوحاً؟ إن الجملة قد تمت، وإنما لعل وجه التحديد: هذا اللسان عينه، الذي اكتمل. غير أن الممارسة في هذا الشأن، تختلف عن النظرية. ونظرية

(تشومسكي) تقول إن الجملة انتصاب لا يتناهي (أي قابلة للتنشيط بشكل لا يتناهي). ولكن الممارسة ترغم على انهاء الجملة دائماً. « وإن كل نشاط إيديولوجي ليمثل في شكل الجملة المنتهية تركيباً. ولناخذ، ايضاً، هذه العبارة لجوليا كريستيفا من قفاها: إن كل عبارة منتهية يتهدهدها الخطر بأن تكون ايدولوجية. وفعلاً، فإن سلطة الانهاء، هي التي تحدد التمكن في بناء الجملة، وتعيّن — كما لو أن الأمر يتعلق بكيفية عمل عليها تم الحصول عليها بصعوبة — عوامل الجملة. فالمعلم هو شخص ينهي الجملة. والسياسي الذي يجري حواراً، يبذل جهداً مضميناً وملاحظاً لكي يتخيل طرفاً تنتهي عنده جملة: وماذا سيكون لو أنه فشل في ذلك؟ سيلحق الضرر بكل سياسته! والكاتب؟. يقول فاليري: «إننا لا نفكر بالكلمات، إننا لا نفكر بغير الجمل». وقد كان يقول هذا لأنه كاتب. ولقد يقال إنه كاتب، ليس عن ذلك الذي يعبر عن فكره، وعن انفعاله، أو عن تخيله عبر الجمل، ولكن عن ذلك الذي يفكر بالجمل: إنه مفكر — جمل (وهذا يعني أنه ليس مفكراً تماماً، ولا صانع جمل تماماً).

إن لذة الجملة لذة ثقافية جداً، وإن هذه الصناعة

التي ابتدعها البلاغيون، والقواعديون، واللسانيون،
والأساتذة، والكتاب، والآباء، إن هذه الصناعة لتقوم على
الإيماء بشكل يشبه اللعب إلى حد ما . ولقد نلعب بشيء
استثنائي. وتكون اللسانيات قد أشارت إلى موضع المفارقة
فيه جيداً: إنه مبني بلا تغيير، ومع ذلك، فإنه متجدد إلى
ما لانهاية: إنه شيء يشبه لعبة الشطرنج.
اللهم إلا إذا كانت الجملة جسداً بالنسبة إلى بعض
المنحرفين؟.

لذة النص. كلاسيكيات. ثقافة (إنه كلما ازدادت
الثقافة، تعاظمت اللذة وتنوعت). ذكاء. سخرية، رقة،
مسرة، تمكن، أمن: فن العيش. ويمكن للذة النص أن تعرف
نفسها عبر الممارسة (من غير أن تتعرض لأي خطر من
أخطار القمع): أما مكان القراءة وزمانها: فالبيت، والريف،
ووجبة الطعام القريبة، والمصباح، والعائلة.
هنا حيث يجب أن تكون، أي بعيداً وليس بعيداً
(بروست في الغرفة المؤرجة بالسوسن)، إلى آخره. وإن هذا
لتعزيز رائع للذات (يحققه الاستيهام). وهو لا شعور مبطن.
ويمكن لهذه اللذة أن تقال: ومن هنا يأتي النقد.

إن نصوص المتعة هي اللذة قطعاً، وهي اللذة قطعاً، وهي الثقافة قطعاً. إنها نصوص يكمن انحرافها في أنها كائنة خارج كل غاية يمكن للمرء أن يتخيلها، حتى وإن كانت غاية اللذة (فالمتعة لا ترغم على اللذة. بل إنها تستطيع أن تثير الملل ظاهرياً). ولكن، عند الحدوث، فإن أي دفع بالغيبة لا يفيد. إذ لا شيء يعاد بناؤه، ولا شيء يمكن استرجاعه. فنص المتعة نص لازم لا يتعدى. وإن الانحراف في أقصى تطرفه هو الذي يعرف المتعة: إنها تطرف مُتجاوز دائماً، تطرف فارغ، ومتحرك، ومفاجيء. وإن هذا التطرف ليعضن المتعة: فهو انحراف متوسط، يزدحم سريعاً بلعبة الغايات التابعة: خطوة، تعبير معلن، منافسة، خطاب، تباهي، إلى آخره.

يستطيع كل الناس أن يشهدوا بأن لذة النص ليست أكيدة: إذ لا شيء يؤكد بأن هذا النص نفسه، سيعجبنا مرة ثانية. إنها لذة هشّة، ذوّبها المزاج، والعادة والظروف العوارض. إنها لذة عابرة (نحظى بها من خلال صلاة صامتة، نتوجه بها إلى الرغبة لكي نشعر بالراحة. وتستطيع هذه الرغبة أن تبطلها). ونتيجة لهذا، يصبح من غير الممكن أن

يجري الكلام عن هذا النص من وجهة نظر العلم الوصفي
(ذلك لأن سلطته القضائية هي سلطة العلم النقدي:
وهكذا تكون اللذة وكأنها مبدأ نقدي).

ليست متعة النص متعة عابرة. فهي أمتن من ذلك:
إنها سابقة لأوانها. ولذا، فهي لا تأتي في وقتها. ولا تتعلق
بأي نضج. وكل ما فيها يندفع اندفاعاً واحدة. ولقد تظهر
هذه الاندفاع في الرسم أمراً بدهياً، ذلك الرسم الذي يُصنع
اليوم: فهو ما إن يفهم، حتى يصبح مبدأ الضياع غير المؤثر.
ولذا، يجب العبور إلى شيء آخر. إذ كل شيء يتم، وكل شيء
يتمتع من النظرة الأولى.

إن النص هو (وهكذا يجب أن يكون) ذلك
الشخص المرح الذي يكشف عن دبره للأب السياسي.

لماذا توجد في بعض الكتب التاريخية، والروائية،
وبعض السير (بالنسبة إلى بعضهم وأنا منهم) لذة في رؤية

تمثيل « الحياة اليومية » لعصر من العصور، ولشخص من الشخصيات؟. لماذا هذا الفضول بالنسبة إلى التفاصيل الصغيرة: المواقيت، العادات، وجبات الطعام، المساكن، الثياب، إلى آخره؟ هل هو الذوق الاستيهامي « للواقع » و(الصورة المادية لقولنا « كان ذلك »؟ أليس الاستيهام هو الذي يستدعي « التفاصيل »، والمشهد الصغير، والخاص، والذي أستطيع أن آخذ مكاناً في داخله بسهولة؟. وفي النتيجة، هل يوجد « مستهترون صغار » (هؤلاء القراء) يجنون متعة من مسرح فريد: ليس من المسرح الرفيع، ولكن من المسرح الوضيع (ألا يمكن أن توجد أحلام، واستيهامات للوضاعة؟)

وهكذا، فإنه يستحيل على المرء أن يتصور تدويناً أكثر تماسكاً، وأكثر تفاهة من « حالة الطقس حاضراً » (وحالته ماضياً). ومع ذلك، فقد استثيرت حفيظتي في أحد الأيام وأنا أقرأ، أو أحاول أن أقرأ Amiel. فقد اعتقد الناشر الفاضل (وهذا واحد آخر يعمل على إبطال حق اللذة) أنه يحسن صنفاً إذ يلغي من هذه الجريدة التفاصيل اليومية، وحالة الجو على ضفاف بحيرة جنيف. وذلك لكي لا يحتفظ إلا باعتبارات أخلاقية غثة: وعلى كل حال، فإن حالة الجو هذه، ما كانت الشيخوخة لتعروها، ولا فلسفة Amiel.

يبدو أن الفن مشبوه تاريخياً واجتماعياً ولهذا، يذل
الفنان نفسه جهداً لكي يهدمه.

وإني لأرى لهذا الجهد ثلاثة أشكال. فالفنان
يستطيع أن يعبر إلى دال آخر: فإذا كان كاتباً، فبإمكانه أن
يصبح سينمائياً أو رساماً. أو على العكس من ذلك، إذا كان
رساماً، فبإمكانه أن يصبح سينمائياً، وأن يطور خطابات
نقدية لا تتناهى عن السينما، وأن يرتد بالفن إرادياً إلى نقده.
كما يمكنه أن يصرف الكتابة، ليخضع طوعاً لثمن الكتابة
العامة، فيصبح عالماً، ومنظراً مثقفاً، فلا يتكلم أبداً إلا من
موضع أخلاقي، نظيف من كل فجور لغوي. وإنه ليستطيع،
أخيراً، أن يوقف نشاطه بتجرد وبساطة. فينقطع عن
الكتابة، ويغير المهنة والرغبة.

والمحزن في الأمر، أن كل هذا الهدم، إنما يكون دائماً
غير ملائم. فهو إما أن يضع نفسه خارج الفن، ولكنه
يصبح حينئذ بديعاً، أو هو يقبل أن يبقى داخل الممارسة
الفنية، ولكنه يهب نفسه سريعاً للاسترجاع (الطليعة، هي
هذا اللسان الجموح الذي سيكون مُسْتَرْجَعاً). وإن المزعج

في هذا التبادل إنما يأتي من أن هدم الخطاب ليس مصطلحاً
جدلياً، ولكنه مصطلح دلالي: وإنه ليندرج طائماً تحت
الأسطورة السميولوجية الكبيرة « للمخالفة » (الأبيض
يتخالف الأسود). وستحكم الأشكال المفارقة بدءاً من هذا
الوقت، هدم الفن (تلك الأشكال التي تفارق الرأي الشائع
حرفياً): إن طرفي محور الاستبدال ملتصقان كل واحد منهما
بالآخر التصاقاً يشكل التواطؤ أساسه: إذ ثمة اتفاق بنيوي
بين الأشكال المعارضة والأشكال المعترض عليها.

(وإني لأفهم، على العكس من ذلك، أن التدمير
الدقيق، ذلك التدمير الذي لا يهتم بالهدم اهتماماً مباشراً، إنما
يتجنب محور الاستبدال ويبحث عن مصطلح آخر: إنه
مصطلح ثالث، ولكن يجب ألا يكون، مع ذلك، مصطلحاً
من مصطلحات التوليف. إذ يجب أن يكون بعيداً عن
المركز، وغير مسموع به. فهل هناك مثل؟ إنه ربما يكون
باتاي. فقد أبطل مصطلح المثالية، وكان سبيله في ذلك أنه
استخدم نوعاً من المادية غير مسموع به. فأخذ فيها مكاناً
كل من المنكر، والتقوى، واللعب، والشبقية المستحيلة، إلى
آخره. وهكذا نجد أن باتاي لا يجعل الحياء معارضاً للحرية
الجنسية، ولكن.. للضحك).

إن نص اللذة، ليس بالضرورة ذلك النص الذي يحكي الملذات. وإن نص المتعة لم يكن قط ذلك النص الذي يروي المتعة. وإن لذة العرض ليست تلك اللذة التي ترتبط بموضوعها: إذ إن الإباحية غير مأمونة. ولو أننا أخذنا بمصطلحات علم الحيوان، فسيقال إن مكان اللذة النصية ليس في علاقة المحاكاة والنموذج (علاقة محاكاة)، ولكنه فقط في علاقة التفرير والمحاكاة (علاقة رغبة، وعلاقة إنتاج).

يجب أن نميز، على كل حال، بين التصوير والعرض. سيكون التصوير هو طراز ظهور الجسد الشهواني (على اختلاف في الدرجة، واختلاف في الطراز) في مظهر جانبي من مظاهر النص. ونضرب على ذلك مثلاً: يستطيع الكاتب أن يظهر في نصه (جينيت، بروست). ولكنه لا يستطيع أن يظهر أبداً تحت الأنواع المختلفة للسيرة المباشرة (فذلك سيرهق الجسد، وسيعطي للحياة معنى، وسيحدد قدرأ). أو أيضاً: يمكن أن نتصور رغبة ما لشخصية من شخصيات الرواية (وذلك باندفاعات عابرة). وأخيراً: يستطيع النص نفسه، لأنه بنية لرسم بياني وليس بنية محاكية، أن يتجلى في شكل جسد، مشطور إلى

موضوعات تتركز الشهوة فيها، وإلى مواضع شهوانية. وإن كل هذه الحركات لتشهد على صورة النص، الضرورية لمتعة القارئ. والفيلم أيضاً سيكون دائماً تصويرياً بشكل أكيد، بل وربما يكون كذلك أكثر من النص (ولهذا السبب، فإن الأمر يستحق انجازه) — وإن كان لا يعرض شيئاً.

وقد يكون العرض، من جهته، تصويراً مشوشاً، ومزدحماً بمعانٍ أخرى غير ذلك المعنى الذي يقوم في الرغبة: إنه فضاء ادعاء الوجود في مكان آخر دفعاً بالغيبية (واقع، أخلاق، احتمال، سهولة القراءة، حقيقة، إلى آخره). وإليك نصاً يتكون من عرض خالص: كتب باري دوريفيلي عن عذراء ما ملانغ: «إنها مستقيمة القامة جداً، وناهضة الطول رصينة، فالكائنات الشفافة كائنات مستقيمة. وإننا لنعرف النساء العفيفات من قاماتهن وحركاتهن. وإننا لنعرف النساء الشهوانيات كذلك. فهن إذا مشين تلكأن، وتراخين، وتمايلن، حتى لكأنهن دائماً وشيك سقوط.»

ولعلكم تلاحظون سريعاً أن طريقة العرض قد استطاعت أن تبدع فناً (ومن ذلك الرواية الكلاسيكية)، كما أبدعت علماً أيضاً (إذا أخذنا علم الخطوط مثلاً، فسنجد أننا نستنتج من ليونة حرف من الحروف خمول الناسخ). وإنه لمن العدل في النتيجة، ومن غير حذقة، أن نقول مباشرة إن العرض إيديولوجي (بسبب امتداد معناه التاريخي). وإنه لمن المؤكد، كما يحصل ذلك غالباً، أن العرض

يتخذ محاكاة الرغبة نفسها موضوعاً له. ولكن الرغبة إذ ذاك، لن تخرج أبداً من الإطار، أو من اللوحة. إنها ستجول بين الشخصيات. وإذا كان لها ثمة متلق، فإنه سيمكث داخل الخيال (وتبعاً لذلك، يمكننا أن نقول إن كل نظام إشاري يسجن الرغبة في شكل المفاعلين (actants)، بغض النظر عن جدته، إنما هو نظام إشاري يقوم على العرض. والعرض هو هذا: إنه عندما لا يخرج شيء، ولا يقفز شيء خارج الإطار: خارج اللوحة، والكتاب، والشاشة).

ما أن تقولوا كلمتين عن لذة النص في بعض الأمكنة، حتى تجدوا رجلين من رجال الدرك مستعدين لإلقاء القبض عليكم: إنهما الدركي السياسي، والدركي — المحلل النفسي: فاللذة إما أن تكون تفاهة و/ أو أن تكون شعوراً بعقدة الذنب. وهي أيضاً إما أن تكون عطالة أو عبثاً. وهي، أخيراً، إما أن تكون فكرة طبقية أو وهماً. إن هذا قديم، تقليد قديم جداً: فلقد كتبت كل الفلسفات تقريباً مذهب اللذة. ولا نجد المطالبة بمذهب اللذة، إلا عند أناس هامشيين مثل ساد، وفورير. وأما بالنسبة إلى نيتشه نفسه، فمذهب اللذة تشاؤم عنده. فاللذة

لا تتوقف عن أن تكون خائبة، ومحبطة، لصالح قيم قوية ونبيلة مثل: الحقيقة، والموت، والتقدم، والنضال، والبهجة، إلى آخره. وإن خصمها المنتصر، إنما هو الرغبة: إنهم يحدثوننا دون انقطاع عن الرغبة، ولكنهم لم يحدثونا قط عن اللذة. فللرغبة شرف معرفي، وليس للذة. ولقد نقول إن المجتمع (مجتمعنا) يرفض (وقد انتهى إلى التجاهل) المتعة رفضاً قاطعاً، وإنه لا يستطيع أن ينتج سوى نظريات بالمعرفة القانونية (والاعتراض عليها). ولكنه لا يستطيع أن ينتج أبداً نظريات تخص غيابها. أو بقول أفضل: إنه لا يستطيع أن ينتج نظريات يبطلانها. وإن هذا الاستمرار الفلسفي للرغبة، لأمر يشير الفضول (لأنه لم يعرف الاكتفاء قط): وهذه الكلمة، ألا تدل على « فكرة طبقية »؟ (قرينة للدليل واضح التسليق، ومستحق للذكر مع ذلك. إنه قولنا: إن الاتجاه « الشعبي » لا يعرف الرغبة — إنه لا يعرف شيئاً سوى الملذات.

إن الكتب المسماة الكتب « الشبقية » (يجب أن نضيف فواتير شائعة، لكي نستثني ساد وآخرين مثله) لتمثل

المشهد الشبقي بصورة أقل مما تمثل انتظاره، وتحضيره، وصعوده. وإن « إثارها » لتكمن في هذا. وعندما يتم تنفيذ المشهد، فمن الطبيعي أن تكون ثمة خيبة، وشعور بنقص داخلي. ونصف هذه الكتب بقول آخر: إنها كتب للرغبة، وليست للذة. أو نقول ببحث أكبر: إنها لتضع اللذة في مشهد كما يراه المحلل النفسي، وهكذا، فإن معنى واحداً يقول هنا وهناك: إن كل هذا باعث للخيبة.

(يجب تجاوز صرح التحليل النفسي — لا الدوران حوله، كما تدور الطرق الرائعة لكبرى المدن، تلك الطرق التي نستطيع أن نلعب خلالها، ونحلم، إلى آخره. فهذا خيال).

ثمة صوفية نصوصية، كما يبدو. وإن كل الجهد فيها لينصب لجعل لذة النص لذة مادية. ولجعل النص موضوعاً للذة، شأنه في ذلك شأن غيره. وهذا يعني: إما أن يقترب النص من « لذائذ » الحياة مثل (الطعام، والحديقة، واللقاء،

والصوت، والوقت، إلى آخره)، وبهذا يتم إلحاقه بالجدول الشخصي لشهواتنا. وإما أن يتم، بوساطة النص، فتح شق للمتعة، وللضياح الذاتي الكبير. وحينئذ، نطابق هذا النص مع الأوقات الأكثر تجريداً للانحراف، وبأماكنه السرية. والمهم في كل هذا هو تعادل حقل اللذة وإلغاء التعارض الكاذب بين الحياة العملية والحياة التأملية. ويظهر من هذا، أن لذة النص مطلب يتجه تحديداً ضد إقصاء النص. ذلك، لأن ما يقوله النص، من خلال خصوصية اسمه، هو كلية حضور اللذة، وغياب المتعة عن كل مكان.

لنفترض وجود كتاب (نص)، تُضفر فيه علاقة كل المتع وتنسج بشكل شخصي لا مثيل له: متع « الحياة »، ومتع النص. فما سينتج عن هذا هو أن السوابق نفسها ستحجز القراءة، والمغامرة.

يمكن للمرء أن يتخيل علماً للجمال (هذا إذا لم تكن هذه الكلمة بخسة القيمة) مؤسساً إلى أبعد مدى (كليا، وجذرياً وبكل الاتجاهات) على لذة المستهلك، مهما كان شأنه، وطبقته، والمجموعة التي ينتمي إليها، ومن غير تحيز لثقافات ولألسنة معينة: قد تكون النتائج هائلة، وربما تكون

محزنة (لقد مهد بريحت لمثل جماليات اللذة هذه. وهي الشيء الذي يُنسى من بين كل مقترحاته في معظم الأحيان).

إن الحلم ليضع تحت الضوء مشاعر أخلاقية رهيبة رهافة قصوى، بل وميتافيزيقية. وإنه ليدعم المعنى الأكثر دقة للمعاني الانسانية. وهو يسمح بالاختلاف الراقى. ويمتلك معرفة من أعلى المعارف الحضارية. وباختصار، إن له منطقاً واعياً، مترابطاً ترابطاً رهيماً لا مثيل له، لا يستطيع امتلاكه سوى عمل يقظ مكثف. وبإيجاز، إن الحلم يجعل كل ما ليس في، وما ليس أجنبياً عني يتكلم: إن هذه نادرة غير متحضرة، صُنِعَتْ بمشاعر جد متحضرة (سيكون الحلم عاملاً حضارياً).

يُبرز نص المتعة غالباً هذا التمييز (إدغار آلان بو). ولكنه يستطيع أيضاً أن يعطي الصورة المضادة (وإن كانت مجردة هي أيضاً): إنها طرفة مقروءة جداً، بمشاعر مستحيلة (السيدة إدوارد، لباتي).

أي نوع من العلاقة يمكن أن تقوم بين لذة النص
ومؤسسات النص؟. إنها علاقة جد رفيعة. إن نظرية النص،
تجعل المتعة مسلمة من مسلماتها. وبهذا، سيكون مستقبلها
المؤسساتي نادراً: فما تؤسسه، وما تنجزه من صعود، إنما هو
ممارسة (ممارسة الكاتب) وليس علماً بحال من الأحوال، أو
منهجاً، أو بحثاً، أو علم تربية. فهذه النظرية، لا تستطيع،
بسبب مبادئها بالذات، إلا أن تنتج منظرين أو ممارسين
(كتبه)، لا أن تنتج متخصصين بأي حال من الأحوال
(نقاداً، باحثين، أساتذة، طلاباً).

ليست السمة الحتمية للغة الواصفة في كل بحث
مؤسساتي فقط، هي التي تقف حجر عثرة أمام كتابة نص
اللذة. فنحن أيضاً لا نقدر، حالياً أن نتصور علماً حقيقياً
للصيرورة (يستطيع وحده أن يستقبل لذتنا، من غير أن
يلبسها لباساً غريباً من الوصاية الأخلاقية): « ... لسنا
حاذقين كفاية لكي ندرك جريان الصيرورة الذي قد يكون
مطلقاً. فالدائم لا يوجد إلا بفضل أعضائنا الفظة. فهي

توجز الأشياء، وتقودها نحو مخطط عام. بينما لا يوجد شيء
على هذا الشكل. فالشجرة هي شيء جديد في كل لحظة.
واننا لنؤكد الشكل، لأننا لا نمسك بتلايب الدقة لحركة
مطلقة » (نيتشه).

إن النص، سيكون هو أيضاً تلك الشجرة التي ألزمتنا

أعضاؤنا الفظة بتسميتها (المؤقتة). وإننا علميون لنقص في
دقتنا.

ما هو الإدلال (La SigiFiance) ؟ إنه المعنى من
حيث هو انتاج حساسية شهوانية.

إن ما نبحث عنه، في جهات متعددة، يتلخص في
إقامة نظرية للذات المادية. ويمكن لهذا البحث أن يمر في
حالات ثلاث: إنه يستطيع، بادیء ذي بدء، أن يسلك
طريقاً للتحليل النفسي، فينتقد، بشراسة، الأوهام التي
أحاطت الذات الخيالية بها نفسها (ولقد برع الأخلاقيون
الكلاسيكيون في هذا النقد). ويستطيع بعد ذلك — أو في
الوقت نفسه — أن يذهب مذهباً أبعد. فيقبل الانشطار
المدوّخ للذات، ويصفها بالتناوب المجرد، ذلك التناوب بين
الصفير وانمحاءه (وإن هذا ليهم النص، لأن المتعة، إذ لا تقدر
أن تقول نفسها فيه، فستمر من خلاله قشعريرة إغائها).

ويستطيع البحث، أخيراً، أن يعمم الذات «روح متعددة»، «روح فانية». وهذا لا يعني أنه سيجعلها جماهيرية، أو جماعية. وهنا نجد أيضاً النص، واللذة، والمتعة: «وليس لنا الحق أن نسأل من إذن، هذا الذي يؤول؟ فالذي يوجد هو التأويل نفسه. وهو شكل من أشكال إرادة القوة (ولا يوجد بوصفه «كائناً»)، ولكن بوصفه سيرورة، وصيرورة) ومن حيث هو «هوى» (نيتشه).

يمكن للذات حينئذ أن تعود ثانية. ليس بوصفها وهماً، ولكن بوصفها خيلاً. فثمة لذة مستخلصة من طريقة يتخيل المرء بها نفسه فرداً، ومن ابتداء الخيال الأخير من بين الأخيلة النادرة: إنه الحيز الخيالي من الهوية. وإن هذا الخيال لم يعد وهماً من أوهام الوحدة. إنه، على العكس من ذلك، مسرح المجتمع الذي تظهر فيه تعدديتنا. إن لذتنا فردية، ولكنها ليست شخصية.

إنني، في كل مرة، أحاول فيها أن « أحلل » نصاً منحني لذة، فإن ما أجده ليس « ذاتي ». إن ما أجده « فرديتي ». ذلك المعطى الذي يجعل من جسدي منفصلاً عن الأجساد الأخرى. فيملكه ألمه، أو يملكه لذته: إن ما أجده هو جسد المتعة. وإن جسد المتعة هذا، هو أيضاً ذاتي التاريخية. فأنا في المحطة الأخيرة لتأليف دقيق بين عناصر السيرة، والعناصر التاريخية، والاجتماعية، والعصائية (التربية، الطبقة الاجتماعية، الشكل الخارجي للطفولة، إلى آخره)، في هذه المحطة أنني لعبة المتناقض للذة (الثقافية وللمتعة (غير الثقافية)). ثم إنني لأكتبني بوصفي ذاتاً وضعه حالياً في غير موضعها، ولأنها جاءت إما بعد أوانها بكثير، وإما قبل أوانها بكثير (إن كلمة كثير لا تشير إلى ندم، ولا إلى خطأ، ولا إلى سوء الحظ، ولكنها تدعو فقط إلى مكان ملغى المكان): إنها ذات تنطوي على مغالطة تاريخية، إنها ذات في حالة انحراف.

قد نستطيع أن نتخيل نموذجاً للمذات القراءة — أو أن نتخيل نموذج قراءات اللذة. ولن يكون هذا النموذج اجتماعياً، لأن اللذة ليست نعتاً، ولا منتوجاً، ولا إنتاجاً. ذلك لأنها لا تستطيع إلا أن تكون تحليلاً نفسياً، يلزم علاقة

عصايبه القراءة بالشكل الهاذي للنص. وإن المولّه الجنسي (Fétichiste)* سيتوافق مع النص المقطع، كما سيتوافق مع تفتيت الشواهد، والصيغ، والمضروب على الطابعة، ومع لذة الكلمة. وأما الشخص الاستحواذي، فستكون له لذة الحرف، واللغات الثانية، المقتلعة، واللغات الواصفة (وستجمع هذه الطبقة كل عشاق اللفظ، واللسانيين، وعلماء الإشارة، وفقهاء اللغة: إنها ستجمع كل هؤلاء الذين بالنسبة إليهم، يعود اللسان ثانية). وأما الموسوس، فيستهلك، أو سينتج نصوصاً مفتولة، وحكايات تم البناء عليها بوصفها استدلالات وأنبية تم وضعها لكونها ألعاباً، والتزامات سرية. وأما ما يخص المهستر (المتعارض جداً مع الشخص الاستحواذي) فسيكون ذلك الذي يأخذ النص واثقاً به، فيدخل في ملهارة لا أساس لها، ولا حقيقة، وسيرتمي عبر النص (وهذا أمر يختلف عن إسقاط النفس فيه).

تعني كلمة نص (Texte) النسيج (Tissu). ولكن،

* — إن المولّه الجنسي هو الذي يركز الشهوة الجنسية على جزء من الجسد (م).

بينما صُنِّف هذا النسيج دائماً، وإلى الآن بوصفه إنتاجاً،
وحججاً جاهزاً، يقف المعنى (الحقيقة خلفه إلى حد ما، فإننا
سنركز الآن، داخل هذا النسيج، على الفكرة التوليدية التي
يتخذها النص لنفسه، وينشغل بها من خلال تشبيك دائم.
وإن الذات إذ تكون ضائعة في هذا النسيج — هذا
النسيج — تنحل فيه، كما لو أنها عنكبوت تذوب هي نفسها
في الافرازات البانية لنسيجها. وإذا كنا نحب الألفاظ
المستحدثة، فإننا نستطيع أن نعرف نظرية النص بأنها علم
صناعة نسيج العنكبوت، لأن (hypho) تعني نسيج
العنكبوت).

على الرغم من أن نظرية النص قد عنيت بالإدلال (la
signifiante) باسمه (بالمعنى الذي أعطته جوليا كريستيفا
لهذه الكلمة) بوصفه مكاناً للمتعة، وعلى الرغم من أنها قد
أكدت في وقت واحد على القيمة الشبقية والنقدية للممارسة
النصية، فإن هذه المقترحات كانت غالباً منسية، ومكبوتة،
ومخنوقة. ومع ذلك نقول: هل يمكن إدراك المادية الجذرية
التي تميل هذه النظرية إليها من غير فكرة اللذة والمتعة؟ ألم
يكن نوادر الماديين في الماضي، كل على طريقته: إبيقور،

وديدرو، وساد، وفورير ذوي نزوع واضح إلى مذهب
السعادة ؟

ومع ذلك، فإن مكان اللذة في نظرية النص ليس
مؤكدًا، ولكن سيأتي يوم، نشعر فيه بضرورة الإسراع بفتح
النظرية قليلاً، وبنقل الخطاب، واللهجة التي تتكرر،
وتتقوى، لنعطيا هزة السؤال. ألا إن اللذة هي هذا السؤال.
غير أن اللذة، لأنها اسم بذوي وسافل (من ذا الذي يقول
عن نفسه اليوم إنه شهواني من غير ضحك؟)، ألا تستطيع
أن تعيق عودة النص إلى الأخلاق، وإلى الحقيقة: أعني إلى
أخلاق الحقيقة: إن هذا لأمر غير مباشر، إنه « انزلاقي » إذا
جاز القول، وإن نظرية النص، من غيره، ستعود كما كانت:
نظاماً مركزياً، وفلسفة للمعنى.

إننا مهما قلنا، فلن نقول أبداً ما فيه الكفاية عن قوة
تعليق اللذة: إنه توقيف يجمد بعيداً كل القيم المقبولة (المقبولة
بالمراء ذاته). وأما اللذة، فإنها حيادية (إنها أكثر أشكال
الشيطان انحرافاً).

ويمكن القول على الأقل، إن ما تعلقه اللذة، إنما هو القيمة الدالة: القضية (الصحيحة). « يعمل دارميس ماسحاً للأرض. وهو يُحاكّم في هذا الوقت، لأنه أطلق الرصاص على الملك. وإنه ليسجل أفكاره السياسية... فما يعود، في معظم الأحيان، على قلم دارمس، هو الأرستوقراطية. وإنه ليكتب هذه الكلمة (Haristaukrassie). إن الكلمة المكتوبة بهذا الشكل، هي كلمة رهيبة... ». وإن هيجو في (حجارة) ليقدّر أيما تقدير شذوذ الدال. وإنه ليعرف أيضاً أن هذا الانتعاض الإملائي، إنما يأتي من « أفكار » دارميس: إن أفكاره تعني قيمه، وإيمانه السياسي، والشمين الذي يجعله بالحركة نفسها: يكتب، ويسمي، ويخطئ في الإملاء، ويتقياً. ومع ذلك: كم يجب أن تكون مملة، مذكرة دارميس السياسية!.

إن لذة النص، هي هذا: إنها القيمة المنتقلة إلى قيمة الدال الفاخر.

إذا كان من الممكن للمرء أن يتخيل علماً جمالياً للذة النصوية، فيجب أن يُدخل فيه: الكتابة بصوت مرتفع. إننا لا نمارس هذه الكتابة الصوتية (والتي ليست هي الكلام

على الاطلاق)، ولكنها، من غير ريب، هي التي أوصى بها أرتو ونشدها سولدير. أفلنتكلم كما لو أنها كانت موجودة. كانت البلاغة، قديماً، تحتوي على جزء منسي، حذفه المعلقون الكلاسيكيون: إنه الفعل. ويتألف من مجموعة من الطرق التي تسمح خصوصاً بإخراج الخطاب جسدياً: والمقصود بهذا، هو مسرح التعبير، والخطيب — المهرج « المعبر » عن غضبه، وعن رحمته، إلى آخره.

إن الكتابة بصوت مرتفع، ليست كتابة تعبيرية. إنها تترك التعبير للنص — الظاهرة، ولقانون الاتصال المنظم. وأما بالنسبة إليها، فإنها تنتمي إلى النص — التكويني، وإلى الإدلال. وإنما لمحمولة، ليس بوساطة الإمالات المأساوية، والنبرات الماكورة، والحركات الصوتية المجاملة، ولكن تحملها رنة الصوت التي هي رنة مختلطة من الجرس ومن اللسان، والتي تستطيع، إذن، أن تكون هي أيضاً، مثل النطق، وأن تكون مادة فن: فن قيادة المرء لجسده (ومن هنا تكون أهميتها في مسارح الشرق الأقصى).

إن الكتابة بصوت مرتفع، بالنسبة إلى أصوات اللغة، ليست علماً لوظائف الأصوات، ولكنها علم للأصوات. وإن هدفها لا يكمن في وضوح الرسالة، أو في مسرح الانفعالات. إذ إن ما تبحث عنه (من خلال منظور للمتعة) هي الحوادث الدافعة، واللغة التي يغطيها الجلد. وهي النص حيث نستطيع أن نسمع رنة الخنجرة، وتزليج الحروف

الصامتة، ولذة الحروف المتحركة، وكل الأصوات الجهورية
للشهوة العميقة: تمفصل الجسد، واللغة، وليس تمفصل
المعنى، واللسان.

ثمة فن من فنون النغم، يستطيع أن يعطينا فكرة عن
هذه الكتابة الصوتية. ولكن بما أن هذا النوع من الفن قد
مات، فلربما نجد هذه الفكرة في السينما بسهولة أكبر. ويكفي
السينما، فعلاً، أن تأخذ صوت الكلام عن قرب (وهذا في
المحصلة هو التعريف الشائع «لرنة» الكتابة)، لتجعل
الأنفاس، والخصى، ولباب الشفاه، وحضور الخطم الانساني
كله مسموعاً في ماديته، وفي حسّيته (وسيان في ذلك إذا
كان الصوت والكتابة غضين، وطرين، ولزجين، وبرغلاً
ناعماً، ومرتعشين كما لو كانا خطم حيوان)، وذلك لكي
تنجح في حمل المعنى بعيداً جداً، وفي إلقاء جسد الممثل
المجهول، كما يقال، في أذني: حينئذ تكون ثمة برغلة،
فانقباض، فمداعبة، فحك، فتقطيع: حينئذ تكون ثمة متعة.

الفهرس

١ — لذة النص بين الترجمة والابداع ص 7

٢ — هسبة اللغة ص 17

٣ — لذة النص ص 23

مركز الأبحاث الحضاري

الأعمال الكاملة

رولان بارت

قريباً

○ مدخل إلى التحليل البنيوي للقصاص

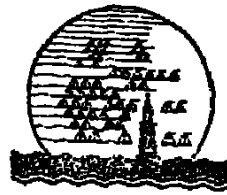
○ نقد وحقيقة

تنفيذ دار الوسيم للخدمات الطباعية

دمشق/ هاتف 881002 – ص. ب 4974

تصميم الغلاف: جمال الأبطح

الإشراف الفني: عوض عمادري



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliothèque d'Alexandrie

مركز الأبحاث الحضارية

Centre Essor et Civilisation

ص. ب: 6333 - حلب - سورية

B.P: 6333 - ALEP - SYRIE



د. منذر عياشي



يتصدى الدكتور منذر عياشي لمهمة جلييلة تتمثل في مسعاه الحثيث لترجمة نصوص من مصادرها الحديثة، وخاصة الفرنسي منها. وقدم من هذه النصوص النقدية المترجمة بضعة أعمال عن الأسلوبية، وعلم الدلالة، ومفهوم الأدب، ثم هذه الأعمال لرولان بارت. وهو بذلك يؤسس لمرجعية علمية تتشكل مع ما يماثلها لتكون مكتبة نقدية للباحث العربي.

أحياناً تثار أسئلة وملاحظات تشبه تلك الأسئلة وتلك الملاحظات التي يطرحها الناس عن تكرار تحقيق مخطوطة من المخطوطات أو تكرار ترجمة عمل من الأعمال. إن الترجمة هي أو لا نقل من نوع خاص لنص أجنبي، وهذا النقل يتضمن فهم الناقل وتفسيره للأصل، ووجود ترجمتين أو أكثر يعني وجود فهمين وتفسيرين - أو أكثر - وهذا إثراء وإضافة معرفية تزيد من ثقافة القارئ الذي لا يعرف النص الأصلي بلغته الأم، وإذا ما تعددت النقول والتفسيرات فإن القارئ سيجد ملامح متفاوتة تشير إلى الأصل وتقترب منه. كما حدث من قبل مع نقولات وتلخيصات أسلافنا لكتاب «أرسطو» في الشعر. وكما حدث في ترجمات معاصرنا لأعمال شكسبير وبحيرة لامارتين وغير ذلك من الأعمال. وكما فعل الغربيون في ترجمات المعلقات والف ليلة وليلة، حيث تتكرر الترجمات ومن ثم تزداد المعارف من خلال تنوع التفسيرات والتاويلات ومحاولات اصطلياد انفاس النص الأصلي وملاحقة نبضاته.

هذه حيوية مشهودة في ترجمة (رولان بارت... ببيرو جيرو... جان إيف تادييه... تزفيتان تودوروف... وغاستون باشلار...) هي مشروع منذر عياشي الذي يهدف أيضاً، بالإضافة إلى كتبه المؤلفة: في اللسانيات، والأسلوبية، والنقد، إلى أن هناك مشروعاً فكرياً سيغني الثقافة العربية المعاصرة.

○ يقول رولان بارت: «يبدأ النص غير الثابت، النص المستحيل مع الكاتب (أي مع قارئه)».

القراءة تجعل المكتوب بدايات لا تنتهي: إنها تكوّن المكتوب على نفسه، فهو لا يزال بها يدور، حتى لكان كل بداية فيه تظل بداية. ولذا كانت نصوص القراءة هي نصوص البدايات المفتوحة: إنها تكتب، وتقرأ. ولكنها لن تبلغ كمالها كتابة، ولا تمامها قراءة. ولعل هذا هو السر في أنها كانت نصوص لذة.

الكتابة